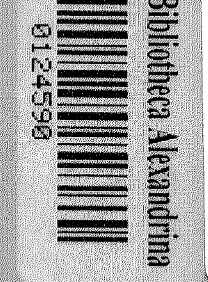
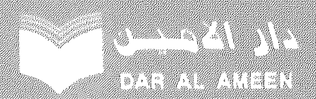
من تراث السيوطي

السبل الجلية في الآباء العلية (فضل الأبوين)

للإمام جلال الدين السيوطي



تحقيق وتعليق
د. محمد زينهم محمد عزب





السُّبُلُ الجَلِيَّةُ فِي الآبَاءِ العَلِيَّةِ (فضل الأبوين)





DAR AL AMEEN
طبـــع • نشـــر • توزيع
القاهرة : ١ ش محمـد محمـود
باب اللوق (برج الأطباء)
تليفـــون : ٣٥٥٨٤٦١

الجيزة : ١ ش سوهاج ـ من
ش الزقازيق ـ خلف قاعة
سيد درويش ـ الهـرم

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

رقم الإيداع ١٩٩٣/٧٩٤٨
I.S.B.N.
977—5424—24—0

من تراث السيوطي

السُّبُل الجليَّة في الآباءِ العليَّة (فضل الأبوين)

للإمام جلال الدين السّيوطي

تحقيق وتعليق
د. محمّد زينهم محمّد عزب



دار الأمين
DAR AL AMEEN



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل البشر صاحب السيرة المحمدية النافعة للعالم محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعـــــد .

فنواصل نشر تراث الإمام جلال الدين السيوطي التي أغفلها الباحثون والدارسون ولم يخرجوها للوجود فعاهدت نفسي على إصدارها على هيئة سلسلة خدمة لأمتنا الإسلامية وللعلم ، فلهذا نلقي الضوء على إمامنا السيوطي بشيء من الاختصار والدقة .

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضري الأسيوطي ، ويلقب بجلال الدين ويكنى بأبي الفضل وكناه بهذه الكنية شيخه العز الكناني الحنبلي حين عرض عليه ما حفظه ، فقال له : ما كنيتك ؟ فقـــال : لا كنية لي ، فقال :

أبو الفضل ، وكتب له هذه الكنية بخطه . ونسبته إلى أسيوط جاءت من قبل والده الذي ولد بأسيوط بعد الثمانمائة تقريباً ونشأ واشتغل وتولى القضاء .

نشأ السيوطي في بيت علم وتقوى ، وكان أبوه يتولى مهمة تحفيظه القرآن ، وحين توفى كان قد حفظ من القرآن حتى سورة التحريم . ولم يتم السيوطي السادسة بعد ، ولم تكمل سنه الثامنة حتى كان قد أتم حفظ القرآن الكريم كله . ومن شيوخه جلال الدين المحلي وعلم الدين البلقيني والشار مساحي والمناوي والشمني وسيف الدين الحنفي والعز الحنبلي والمرزباني والاقصرائي والعبادي والطنوني وآسية بنت جار الله ابن صالح الشيباني الطبري وكمالية بنت محمد بن محمد الهاشمية المكية وأم هانئ بنت أبي الحسن الهوريني وأم الفضل بنت محمد المقدسي وصالحة بنت علي ابن الملقن وفاطمة بنت علي بن اليسير وشوان بنت عبد الله الكناني وهاجر بنت محمد المصرية وسارة بنت محمد البالسلي .

وقد رزق السيوطي التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، وقد بلغ عدد كتبه أكثر من خمسمائة مؤلف .

أولاً - في علوم القرآن :

١ – الناسخ والمنسوخ في القرآن .

٢ – شرح الشاطبية الألفية في القراءات .

٣ – الإكليل في استنباط التنزيل .

٤ – مجمع البحرين ومطلع البدرين .

٥ – المهـذب .

٦ – لباب النقول في أسباب النزول .

٧ – الإتقان في علوم القرآن .

٨ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

ثانياً - الحديث ومتعلقاته :

١ – ذيل طبقات الحفاظ .

٢ – اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة .

٣ – تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك .

٤ – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي .

٥ – جمع الجوامع في السنة .

٦ – كتاب مفتاح الجنة .

ثالثاً - علوم اللغة :

١ - خصائص اللغة .

٢ - المزهر .

رابعا - التاريخ :

١ - حسن المحاضرة في أخبار القاهرة .

٢ - تاريخ الخلفاء .

٣ - فضائل مكة والمدينة .

خامسا - التصوف :

١ - تأييد الحقيقة العلية .

٢ - درج المعالي في نصرة الغزالي .

٣ - مختصر الإحياء .

٤ - الخبر الدال علي وجود القطب .

٥ - المعاني الدقيقة .

٦ - سهام الإصابة في الدعوات المستجابة .

٧ - شرح الصدور بشرح حال الموتي .

٨ - بشرى الكئيب بلقاء الحبيب . وغيرها من المصنفات في شتى المجالات .

مات سنة ٩١١ هـ بعد أن ترك لنا ثروة عظيمة من أمهات كتب التراث .

إننا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نشأ يتيماً فقد أباه وهو في بطن أمه ، ثم عندما ظهر إلى الوجود فقد أمه ، ومن هنا صنف الإمام السيوطي عدة كتب صغيرة تخص هذا الموضوع فقمت بتجميع هذه الكتب وإصدارها على شكل سلسلة متحدة الموضوع ، هذا بما ورد من أدلة وبراهين من كتاب الله وسنة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام .

فنبدأ بثلاثة كتب صغيرة هي « السبل الجلية في الآباء العلية » و « الدرج المنيفة في الآباء الشريفة » و « تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغنياء » فنصدرها في كتاب واحد يشمل وحدة الموضوع بطريقة محققة ومبسطة ومعتمدين على الطبعات القديمة وأحياناً على بعض المخطوطات الموجودة في دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات بالقاهرة ومكتبة جامعة القاهرة . ونسأل الله العون والمغفرة يا أرحم الراحمين .

الدكتور

القاهرة في ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م **محمد زينهم محمد عزب**



السبل الجلية
فـــي
الآبـــاء العلية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، هذا سادس مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي يقال في حقهما إنهما ناجيان ومحكوم لهما في الآخرة بالنجاة ودخول الجنة ، كما ذهب إليه جمع من الأمة ثم اختلفوا في توجيه ذلك على سبل :

السبيل الأول

أنهما لم تبلغهما الدعوة لأنهما كانا في زمن الجاهلية التي عم فيها الجهل وطبق الأرض وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصاً وقد ماتا في حداثة السن فإن والده صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي (١) أنه عاش من العمر نحو

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه ذو الفنون صلا الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي الشافعي ، عالم بيت المقدس ، ولد في سنة ٦٩٤هـ وسمع التقي سليمان وطبقته ، ولازم البرهان الفزاري والكمال الزملكاني وتخرج به ، وبرع في الفنون وكان إماماً محدثاً متقناً جليلاً فقيهاً أصولياً نحوياً .

قال الذهبي في المختصر : حافظ ، يستحضر الرجال والعلل ، وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم . =

ثماني عشرة سنة ووالدته ماتت في حدود العشرين تقريباً ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في مثل ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة ، وهذا مذهبنا لا خلاف بين أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول وقد نص على ذلك إمامنا الإمام الشافعي(٢) رضي الله عنه في (الأم والمختصر) وتبعه سائر الأصحاب فلم يشذ أحد منهم

= وقال الحسيني : كان إماماً في الفقه والأصول والنحو ، مفننا في علوم الحديث وفنونه ، علامة فيه ، عارفا بالرجال ، علامة في المتون ، والأسانيد ، ولم يخلف بعده مثله . وقال الإسنوي : كان حافظ زمانه ، إماماً في الفقه وغيره ، ذكياً نظاراً ، سئل السبكي : من تخلف بعدك ؟ فقال : العلائي .

ألف في الحديث وغيره مصنفات منها « الوشي المعلم فيمن روى عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم » و« الأربعين في أعمال المتقين » و« القواعد » المشهور به و« علوم آيات الفرائض » وأشياء كثيرة محررة متقنة نافعة . وخرج ودرس بأماكن منها الناصرية والأسدية والصلاحية بالقدس والتنكرية وغير ذلك . أخذ عنه العراقي وقال : مات حافظ المشرق والمغرب صلاح الدين العلائي سنة ٧٦١ هـ .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي المكي نزيل مصر ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ روى عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح ، وابن عيينة ومالك وابن أبي فديك وخلق . روى عنه أبو عثمان محمد وأحمد بن حنبل وأبو ثور وأبو عبيد القاسم وأبو الطاهر بن السرح والمزني وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفراني والربيع بن سليمان المرادي والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي ويونس بن عبد الأعلى وخلق كثير ، مات سنة ٢٠٤ هـ .

بخـــلاف ، واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[٣] وهذه مسـألة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع قاعدة أصولية متفق عليها عند أئمتنا الأشاعرة [٤] وهى قاعدة شكر المنعم مرجعـها إلى قاعدة كلامية وهى قاعدة التحسين والتقبيح العقليين وإنكارهما متفق عليه من الأشاعرة كما هو في كتب الكلام والأصول .

وقد أطنب الأئمة في تقرير هاتين القاعدتين والاستدلال عليهما والجواب عن حجج المختلفين إطنابا عظيما خصوصا إمام الحرمين في (البـرهان) والغـزالي[٥] في (المسـتـصـفى والمنحـول) والكيـاء الهراسي[٦] في (تعليقه) والإمــام فخـــر الدين الرازي [٧] في

---

(٣) ١٥ ك الإسراء ١٧ .

(٤) هم أصحاب أبي الحسن عماد الدين بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما .

(٥) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، فليسوف متصوف له نحو مائتي مصنف منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومقاصد الفلاسفة وغيرها ، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ ومات سنة ٥٠٥ هـ .

(٦) هو أبو الحسن عمـاد الدين علي بن محمـد الطبري المعروف بالكيا هراسي ، و (الكيا) الكبير بلغة الفارسي و (الهراسي) الخائف ، فقيه قاض مفسر ، ولد بطبرستان سنة ٤٥٠ هـ وانتقل إلى بيهق فدرس بها مدة ، ثم رحل إلى بغداد ودرس بالنظامية ووعظ ، واتهم بمذهب الباطنية فرجم ، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له. من تصانيفه أحكام القرآن. مات سنة ٥٠٤هـ.

(٧) صاحب كتاب مفاتيح الغيب والاعتقاد .

(المحصول) وابن السمعاني [٨] في (القواطع) والقاضي أبو بكر الباقلاني [٩] في (التقريب) وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة .

وترجع مسألة من لم تبلغه الدعوة إلى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف ، وهذا هو المبحوث في الأصـــول واستدلوا عليه بقوله تعـالى ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلهـــا غافـــلون ﴾ [١٠] ثم اختلفت عبارات الأصحاب في من لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال إنه ناج وإياها اختار السبكي ، ومنهم من قال على الفترة ، ومنهم من قال مسلم . وقال الغزالي التحقيق أن يقال في معنى المسلم .

وقد مشى على هذا السبيل في والدي رسـول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) [١١] وغيره ومشى عليه الأبي في (شـــرح مـــسلم) [١٢] وكان شيخنا شيخ الإسلام

(٨) هو أبو سعيد السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي ، ولد سنة ٥٠٦ هـ صنف الذيل على تاريخ الخطيب ، وتاريخ مرو وأدب الطلب والإملاء والاستملاء ومعجم الشيوخ ومعجم البلدان والدعوات وغيرها . مات سنة ٥٦٢هـ.

(٩) له ترجمة وافية في طبقات السبكي .

(١٠) ١٣١ ك الأنعام ٦ .

(١١) وقد نشر منه جزء واحد حتى الآن .

(١٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري صاحب الصحيح ، روي عن قتيبة وعمرو الناقد وابن المثنى وابن يسار وأحمد ويحيى وإسحاق ، وعنه الترمذي وأبو عوانة وابن صاعد وخلق . مات سنة ٢٦١ هـ .

شرف الدين المناوي[١٣] يعول عليه ويجيب به إذا سئل عنهما .

السبيل الثاني

أنهما من أهل الفترة ، وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، وأحاديث الامتحان كثيرة والمصحح منها ثلاثة: الأول: حديث الأسود عن ابن سريع[١٤] وأبي هريرة[١٥] معا مرفوعا أخرجه أحمد في (مسنده) وصححه البيهقي[١٦]

---

(١٣) له ذكر وترجمة في طبقات المفسرين للداودي .

(١٤) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي من بني منقر صحابي ، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ونزل البصرة وقص بها ، وروى عنه الأحنف بن قيس والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي بكرة، ثقة مات سنة ٤٢ هـ .

(١٥) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب ، وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير ، وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع . قال البخاري : روي عنه ثمانمائة نفس أو أكثر .
قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره. مات سنة ٥٨هـ.

(١٦) هو شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي صاحب التصانيف ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ولزم الحاكم وتخرج به ، وأكثر عنه جدا وهو من كبار أصحابه ، بل زاد عليه بأنواع من العلوم ، له عدة مصنفات منها السنن الكبرى والصغرى وشعب الإيمان والأسماء والصفات ودلائل النبوة والبعث والآداب والدعوات والمدخل والمعرفة والترغيب والترهيب والخلافيات والزهد والمعتقد ، مات سنة ٤٥٠ هـ .

في (كتاب الاعتقاد) والثاني: حديث أبي هريرة موقوفا وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي أخرجه عبد الرازق [١٧] وابن جرير [١٨] وابن أبي حاتم [١٩] وابن المنذر [٢٠] في تفاسيرهم وإسناده صحيح على شرط الشيخين . والثالث: حديث ثوبان [٢١]

---

(١٧) هو عبد الرازق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ، أحد الأعلام روى عن أبيه وابن جريج ومعمر والسفيانين والأوزاعي ومالك وخلق . وعنه أحمد وإسحاق وابن المديني وأبو أسامة ووكيع وخلق ، مات سنة ٢٢١ هـ .

(١٨) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العالم الحافظ الفرد أبو جعفر الطبري ، أحد الأعلام وصاحب التصانيف ، الطواف ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ومات سنة ٣١٠ هـ . قال ابن خزيمة : ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه . وقال الفرعاني : بث مذهب الشافعي ببغداد ، ثم اتسع علمه وأداه اجتهاده إلى ما اختار في كتبه ، وعرض عليه القضاء فأبى . صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك وتهذيب الآثار واختلاف الفقهاء .

(١٩) هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ولد سنة ٢٤٠ هـ ومات سنة ٣٢٧ هـ صاحب الجرح والتعديل والتفسير والرد على الجهمية. قال الخليلي: أخذ علم أبيه وأبى زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال ، ثقة حافظاً زاهداً ، يعد من الأبدال .

(٢٠) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري شيخ الحرم صاحب الإشراف والمبسوط والإجماع والتفسير ، مات سنة ٣١٨ هـ .

(٢١) هو ثوبان بن بجدد ويقال ابن جحدر أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل أصله من اليمن ، روى عنه أبو أسماء الرحبي ومعدان بن طلحة اليعمري وراشد بن سعد وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن غنيم وأبو عامر الألهاني وأبو إدريس الخولاني ، مات سنة ٥٤ هـ .

مرفوعا أخرجه البزار[٢٢] والحـاكم[٢٣] في (المسـتدرك) وقـال صحيح على شـرط الشيخين وأقـره الذهبي[٢٤] على تصحيحه في (مختصره) وحديث رابع أخرجه البزار وابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي سعيد الخدري[٢٥] مرفوعا وابن أبي حاتم أيضا عنه موقوفا له حكم الرفع وفي سنده عطيـة العـوفي[٢٦] وفيـه ضـعف ، إلا أن الترمذي[٢٧] يحسن حديثه خصوصا إذا كان له شاهد ، وهذا له

(٢٢) هو أحمد بن سلمة أبو الفضل النيسابوري البزار المعدل رفيق مسلم في الرحلة إلى بلخ والبصرة ، له مستخرج كهيئة صحيح مسلم، مات سنة ٢٧٦هـ.

(٢٣) هو الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري يعرف بابن البيع صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي ، ولد سنة ٣٢١ هـ ومـات سنة ٤٠٥ هـ ، حـدث عنه الدارقطني وابن أبي الفـوارس والبيهقي والخليلي وخلائق ، وتفقه بأبي سهل الصعلوكي وابن أبي هريرة .

(٢٤) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي ولد سنة ٦٧٣ هـ ومات سنة ٧٤٨ هـ ، له مصنفات كثيرة منها سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام وتذكرة الحفاظ .

(٢٥) هو أبو سعيد الخدري سعيد بن مالك الأنصاري الخزرجي المدني ، كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة ، روى حديثا كثيرا وأفتى مدة . مات سنة ٧٤ هـ .

(٢٦) هو عطية بن سعيد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسين ، روى عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس ، وابن عمر وزيد بن أرقم وعكرمة وعدي بن ثابت وعبد الرحمن بن جندب ثقـة مات سنة ١٠١ هـ وقيـل سنة ١٢٧ هـ .

(٢٧) هو أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي ، صاحب الجامع والعلل ، روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي ؛ مات سنة ٢٧٩ هـ .

عدة شواهد كما ترى . وحديث خامس أخرجه البزار وأبو يعلي[٢٨] من حديث أنس [٢٩] مرفوعا وسنده ضعيف. وحديث سادس أخرجه الطبراني[٣٠] وأبو نعيم[٣١] عن معاذ بن جبل[٣٢] مرفوعا ، سنده ضعيف، والعمدة على الثلاثة الأول الصحيحة ، وهذا السبيل نقل حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن بعضهم أنه مشى عليه فيما

---

(٢٨) هو معلى بن منصور الرازي أبو يعلي ، روى عن ابن عيينة وحماد بن زيد ومالك والليث وخلق ، وعنه ابن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وآخرون ، مات سنة ٢١١ هـ .

(٢٩) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله صحبة طويلة وحديث كثير ، مات في سنة ٩٣ هـ .

(٣٠) هو الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ولد بعكا سنة ٢٦٠ هـ ومات سنة ٣٦٠ هـ ، صنف المعجم الكبير والصغير والدعاء ودلائل النبوة والنوادر ومسند شعبة ومسند سفيان ومسند الشاميين والأوائل والتفسير ومسند العشرة ومعرفة الصحابة ومسند أبي هريرة وغيرها. قال أبو العباس الشيرازي : كتبت عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث وهو ثقة.

(٣١) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الصوفي الأحول ، سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ، ولد سنة ٣٣٦ هـ ومات سنة ٤٣٠ هـ ، صنف الحلية والمستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة وتاريخ أصبهان وفضائل الصحابة وصفة الجنة والطب .

(٣٢) هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني أسلم وشهد العقبة وهو ابن ثماني عشرة سنة أو دونها ، وشهد بدرا والمشاهد ، وكان من نجباء الصحابة وفقهائهم . حدث عنه أنس بن مالك وأبو مسلم الخولاني وطائفة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ . استشهد معاذ في الطاعون بالأردن في سنة ثماني عشرة وله خمس وثلاثون سنة تقريبا .

نحن فيه ، ثم قال والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه . وذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير(٣٣) قضية الامتحان أيضا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر أهل الفترة وقال إن منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب إلا أنه لم يقل إن الظن في الوالدين الشريفين أن يجيبا ، ولا شك أن الظن بهما أن يوفقهما الله حينئذ للإجابة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه تمام في (فوائده) بسند ضعيف من حديث ابن عمر(٣٤) أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي . وأخرج الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أبويه فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام

---

(٣٣) هو الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير بن ضوء ابن كثير القيسي البصروي .
ولد سنة ٧٠٠ هـ وسمع الحجار والطبقة ، وأجاز له الوافي والختني وتخرج بالمزي ولازمه وبرع ، له التفسير والتاريخ ، وتخريج أدلة التنبيه وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب وزوائد الطبراني ومسند الشيخين وعلوم الحديث وطبقات الشافعية ، مات سنة ٧٧٤ هـ .

(٣٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه أحد الأعلام في العلم والعمل ، شهد الخندق ، وهو من أهل بيعة الرضوان وممن كان يصلح للخلافة فعين لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام علي وفاتح العراق سعد ونحوهما رضي الله عنهما . ومناقبه جمة ، أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح . مات سنة ٧٤ هـ .

المحمود فهذا تلويح بأنه يرتجى أن يشفع لهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان . وينضم إلى ذلك ما أخرجة أبو سعد في (شرف النبوة) وغيره عن عمران بن حصين[٣٥] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت ربى أن لايدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطاني ذلك[٣٦] . أورده المحب الطبري[٣٧] في كتابه (ذخائر العقبى) وما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾[٣٨] قال من رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار . فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاده ذلك قوة كما تقرر في علوم الحديث ، وأمثلها حديث ابن مسعود فإن الحاكم قد صححه وهذا السبيل قد يعد مغايرا للسبيل

---

(٣٥) هو عمران بن حصين أبو نجيد الخزاعي . كان ممن بعثهم عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم ، وولى قضاء البصرة ، وكان الحسن يحلف بالله ما قدم البصرة أحد خير لهم من عمران بن حصين . حدث عنه زرارة والحسن ومحمد ابن سيرين وآخرون . له أحاديث عدة في الكتب ، وكان من نبلاء الصحابة وفضلائهم ، مات سنة ٥٢ هـ .

(٣٦) ورد في مفتاح كنوز السنة .

(٣٧) هو المحب الطبري الإمام المحدث فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي الشافعي ، مصنف الأحكام الكبرى وشيخ الشافعية ومحدث الحجاز . ولد سنة ٦١٥ هـ وسمع من ابن المقير وابن الجميزي وشعيب الزعفراني . وكان إماماً زاهداً صالحاً كبير الشان . مات في سنة ٦٩٤ هـ .

(٣٨) ٥ ك الضحى ٩٢ .

الأول كما مشيت عليه في هذا الكتاب . وفي (الكتاب المطول) لأن مقتضى السبيل الأول الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان وقد يعد مرادفا له كما مشيت عليه في (مسالك الحنفاء) وفي (الدرج المنيفة) وفي (المقامات السندسية) وهو أقرب إلى التحقيق . ويكون معنى قولهم إنه ناج أي بشرط لا مطلقا، وقولهم لا يعذب أي ابتداء كما يعذب من عاند بل يجري فيه الامتحان ويكون امتحانه في الآخرة منزلا منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا ، ويكون عصيانه في الآخرة بمنزلة مخالفته للرسل ، ويؤكد ذلك أن أبا هريرة راوي حديث أهل الفترة استدل في آخره بالآية التي استدل بها الأئمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة ولفظه فيما أخرجه عبد الرزاق في (تفسيره) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر[٣٩] الثلاثة من طريق عبد الرزاق عن معمر[٤٠] عن ابن طاوس[٤١] عن أبيه عن أبي هريرة قال : إذا كان

---

(٣٩) هو الحافظ الثقة الرحال أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن شعبة الهروي ، مقدم في الفن وصنف . مات في ربيع ٣٠٢ هـ بهراة .

(٤٠) هو معمر بن راشد الأزدي الحراني البصري نزيل اليمن أبو عروة بن أبي عمرو ، روى عن الأعمش ومحمد بن المنكدر وقتادة والزهري وخلق . وعنه أيوب وعمرو بن دينار وأبو إسحاق السبيعي وشعبة والسفيانان مات سنة ١٥٢ هـ وقيل سنة ١٥٣ هـ .

(٤١) هو طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري أدرك خمسين صحابيا . ثقة مات سنة ١٠١ هـ وقيل سنة ١٠٦ هـ .

يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ، ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تأتنا رسل ، قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلامة ، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ثم قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[٤٢] ففهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه من قوله ﴿ حتى نبعث رسولا ﴾ من هو أعم من رسول الدنيا والرسول المبعوث إليهم يوم القيامة أن ادخلوا النار . ولا مستنكر مثل هذا الفهم العظيم من مثل أبي هريرة رضي الله عنه .

وعلى هذين السبيلين فالجواب عن الأحاديث الواردة في الأبوين بما يخالف ذلك أنها وردت قبل ورود الآيات والأحاديث المشار إليها فيما تقدم كما أجيب عن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار قبل ورود قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[٤٣] وسائر الأحاديث المخالفة لتلك . وقال بعض أئمة المالكية في الجواب عن تلك الأحاديث الواردة في الأبوين إنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع ، وهو قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ونحوها من الآيات في معناها . قلت : مع ضميمة أن أكثرها ضعيف الإسناد والصحيح منها قابل للتأويل.

---

(٤٢) ١٥ ك الإسراء ١٧ .

(٤٣) ١٥ ك الإسراء ١٧ .

السبيل الثالث

أن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا به وهذا السبيل مال إليه طائفة كثيرة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا إلى حديث ورد بذلك لكن إسناده ضعيف . وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وليس بموضوع وقد نص ابن الصلاح[٤٤] في علوم الحديث وسائر من تبعه على أن ابن الجوزي[٤٥] تسامح في كتابه (الموضوعات) فأورد فيه أحاديث وحكم بوضعها وليست بموضوعة بل هي ضعيفة فقط ، وربما تكون حسنة أو صحيحة . قال الحافظ زين الدين العراقي[٤٦] في (الغنية) :

---

(٤٤) هو ابن الصلاح شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الشيخ صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي . صاحب كتاب علوم الحديث وشرح مسلم وسمع من ابن سكينة وابن طبرزد والمؤيد الطوسي . مات سنة ٦٤٣ هـ .

(٤٥) هو الإمام العلامة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن علي بن عبد الرحمن البكري والصديقي البغدادي الحنبلي الواعظ ، سمع من ابن الحصين وأبي غالب بن البناء وخلق مات سنة ٥٩٧ هـ .

(٤٦) هو الحافظ الإمام أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ، له عدة مصنفات منها الألفية ونكت ابن الصلاح والمراسيل ونظم الاقتراح وتخريج أحاديث الإحياء والمغني وتكملة شرح الترمذي ونظم منهاج البيضاوي ونظم غريب القرآن ونظم السيرة النبوية ، ثقة مات سنة ٨٠٦ هـ .

وأكثر الجـــامع فيه إذ خرج لمطلق الضـــعف أعني بالفرج

وقد ألف شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتابا سماه (القول المسـدد في الذب عن مسند أحـمـد) أورد فـيه جملة من الأحـاديث التي أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وهي في مسند أحمد ودرأ عنها أحسن الدرء ووهم ابن الجوزي في حكمه عليها بالوضع ، وبين أن منهـا مـا هو ضـعيف فقط من غيـر أن يصل إلى حـد الوضـع ، ومنهـا مـا هو صـحيح وأبلـغ من ذلك أن منهـا حـديثـا مـخـرجـا في صحيح مسلم ، حتى قال شيخ الإسلام : هـذه غفلة شديدة من ابن الجـوزي ، حـيث حكم على هذا الحـديث بالوضع وهـو في أحـد الصحيحين ، انتهى .

وسبقه إلى شيء من هـذا التعقب شيخه حافظ عصره زين الدين العراقي ، ورأيت في فـهرست مصنفات شيخ الإسلام أنه شرع في تأليف (تعـقبـات على مـوضـوعـات ابن الجـــوزي) ولم أقف على هـــذا التـأليف ، وقـد تتبـعت أنا منه جملة من الأحـاديث ليـست بموضـوعـة فـمنهـا مـا هو في (سنن أبي داود[٤٧] والترمذي[٤٨]

---

(٤٧) هو داود بن علي بن خلف الحافظ الفقيه المجتهد أبو سليمان الأصبهاني البغدادي فقيه أهل الظاهر ، ولد سنة ٢٠٠ هـ وأخذ العلم عن إسحاق وأبي ثور وسمع القعنبي، وحدث عنه ابنه محمد وزكريا الساجي. مات سنة ٢٧٠هـ.

(٤٨) هو أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي صاحب الجامع والعلل روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي وخلق . مات بترمذ سنة ٢٧٩ هـ .

والنسائي[٤٩] وابن ماجه[٥٠] ومستدرك الحاكم [٥١]) وغيرها من الكتب المعتمدة ، وبينت حال كل حديث منها ضعفا وحسنا وصحة في تأليف حافل سمي (النكت البديعات على الموضوعات) وهذا الحديث الذي نحن في ذكره ، وهو حديث الإحياء ، خالف ابن الجوزي فيه كثير من الأئمة والحفاظ فذكروا أنه من قسم الضعيف الذي تجوز روايته في الفضائل والمناقب لا من قسم الموضوعات .

---

(٤٩) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي . روى عنه ابن جوصا وابن السني وأبو سعيد بن الأعرابي والطحاوي وأبو علي النيسابوري وابن عدي وابن يونس والعقيلي وابن الأخرم وأبو عوانة وآخرون . له عدة مصنفات منها السنن الكبرى . والصغرى وخصائص علي ومسند علي ومسند مالك . مات سنة ٣٠٣ هـ .

قال الذهبي عنه : أحفظ من مسلم بن الحجاج . وقال الحاكم : كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال .

(٥٠) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني الحافظ صاحب كتاب السند والتفسير ، سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام . مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٥١) هو الحاكم الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد ابن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري يعرف بابن البيع صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي . ولد سنة ٣٢١ هـ ومات سنة ٤٠٥ هـ ، حدث عنه الدارقطني وابن أبي الفوارس والبيهقي والخليلي وخلائق ، وتفقه بأبي سهل الصعلوكي وابن أبي هريرة .

منهم الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٥٢] والحافظ أبو القاسم ابن عساكر[٥٣] والحافظ أبو حفص بن شاهين[٥٤] والحافظ أبو القاسم السهيلي[٥٥] والإمـــام القــرطبي والحــافظ مــحب الدين الطبري. والعــلامــة ناصــر الدين ابن المنيــر والحــافظ فــتح الدين بن

---

(٥٢) هو الحافظ الكبير محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب التصانيف ، ولد سنة ٣٩٢ هـ ومات سنة ٤٦٣ هـ تفقه بأبي الحسن المحاملي وبالقاضي أبي الطيب و له عدة مصنفات منها التاريخ والجامع والكفاية والسابق واللاحق وشرف أصحاب الحديث وأسماء المدلسين وغيرهم .

(٥٣) هو الإمام الكبير حجة الإسلام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي الشافعي ، صاحب تاريخ دمشق وأطراف السنن الأربعة وعوالي مالك وغرائب مالك وفضل أصحاب الحديث ومناقب الشبان وعوالي الثوري وغيرهم . ولد سنة ٤٩٩ هـ ومات سنة ٥٧١ هـ ، وهو إمام المحدثين في وقته انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة وبه ختم هذا الشأن .

(٥٤) هو الإمام الحافظ المفيد محدث العراق أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي صاحب الترغيب والتفسير والمسند والتاريخ والزهد ، سمع الباغندي والبغوي ومنه الماليني والبرقاني ، مات سنة ٣٨٥ هـ ، ثقة مأمون .

(٥٥) هو الحافظ البارع أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي الضرير صاحب الروض الأنف والتعريف في مبهمات القرآن ، ولد سنة ٥٠٨ هـ ومات سنة ٥٨١ هـ وسمع من ابن العربي وطائفة وأخذ النحو والأدب عن ابن الطراوة والقراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى . وحدث عنه أبو الخطاب خليل .

سيد الناس[٥٦] ، ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح في نظم له والحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له فقال :

حبا الله النبي مزيد فضـل ... على فضـل وكان بـه رءوفا

فأحيا أمـه وكـذا أبـاه ... لإيمان به فضـلا لطيفـا

فسـلم فالقـديم بذا قـدير ... وإن كان الحديث به ضعيفـا

وأخبرني بعض الفقهاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا إلا أني لم أقف على ذلك ، وإنما وقفت على كلامه الذي قدمته في السبيل الثاني .

وقال السهيلي في أوائل (الروض الأنف)[٥٧] بعد إيراد حديث أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما . ما نصه : والله قادر على كل شيء . وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه عليه الصلاة والسلام أهل أن يختصه بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

---

(٥٦) هو فتح الدين بن سيد الناس أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله اليعمري الأندلسي الأصل المصري ، ولد سنة ٦٧١ هـ صاحب السنن الكبرى والصغرى وشرح الترمذي ، مات سنة ٧٣٤ هـ ، سمع من غازي والعز وابن دقيق العيد والبهاء بن النحاس .

(٥٧) انظره من تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية .

وقال في موضع آخر من الكتاب في حديث أنه قال لفاطمة : لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك . ما نصه في قوله : جد أبيك ولم يقل جدك ، يعني أباه تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه وآمنا له ، انتهى مع أن الحديث الذي أورده السهيلي لم يذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وإنما أورد ابن الجوزي حديثا آخر من طريق آخر في إحياء أمه فقط ، وفيه بلفظ غير الحديث الذي أورده السهيلي فعلم أنه حديث آخر مستقل ، وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخا للأحاديث الواردة بما يخالف ذلك ، ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها .

وقال القرطبي (٥٨) : فضائل النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مما فضله الله وأكرمه ، قال وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعا عقلا ولا شرعا ، فقد ورد إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم .

قال : وإذا ثبت هذا فما يمتنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضله .

---

(٥٨) صاحب كتاب أحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي .

السبيل الرابع

أنهما كانا على الحنيفية دين إبراهيم كما كان زيد بن نفيل وأضرابه في الجاهلية ، وقد عقد ابن الجوزي في (التلقيح) بابا لتسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية فأورد فيه جماعة منهم زيد المذكور وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وأبو بكر الصديق وغيرهم .

وقد مال إلى هذا السبيل الإمام فخر الدين الرازي وزاد أن آباءه صلى الله عليه وسلم كلهم إلى آدم كانوا على التوحيد ، قال في كتابه (أسرار التنزيل) ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه . منها : أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه : منها قوله تعالى ﴿ **الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين** ﴾[٥٩] قيل معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد .

قال وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ، ولا يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ على وجوه أخرى ، وإذ أوردت الروايات بالكل

---

(٥٩) ٢١٨ ، ٢١٩ ك الشعراء ٢٦ .

ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان .

قال : ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » وقال تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾(٦٠) فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا .

هذا كلام الإمام بحروفه وقد وجدت له أدلة قوية ما بين عام وخاص .

فالعام مركب من مقدمتين :

إحداهما : أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل جد من أجداده صلى الله عليه وسلم خير أهل قرنة كحديث البخاري (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه) .

والثانية : أنه قد ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

أخرج عبد الرزاق في (المصنف) وابن المنذر في التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب قال : لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمين فصاعدا فلولا ذلك هلكت

---

(٦٠) ٢٨ م التوبة ٩ .

الأرض ومن عليها . وأخرج الإمام أحمد في (الزهد)[٦١] والخلال في والخلال في (كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم هم أهل الأرض .

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ما قاله الإمام لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعي وإن كانوا غيرهم لزم أحد الأمرين إما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح وإما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع ، وفي التنزيل ﴿ **ولعبد مؤمن خير من مشرك** ﴾[٦٢] فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كل في زمانه .

أما الخاص فأخرج ابن سعد في (الطبقات) عن ابن عباس قال ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام ، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبزار في (مسنده) والحاكم في (المستدرك) وصححه عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين ، قال وكذلك هي في قراءة عبد الله « كان الناس أمة واحدة فاختلفوا »

---

(٦١) هو الفقيه العلامة المحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي، مؤلف علم أحمد وجامعه ومرتبه ، ثقة .

(٦٢) ٢٢١ م البقرة ٢ .

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام﴿ رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾(٦٣) وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع ، بل ورد في أثر أنه نبي وولده أرفخشد صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم(٦٤) في (تاريخ مصر) وفيه أدرك جده نوحا ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده وروى ابن سعد في (الطبقات) من طريق الكلبي(٦٥) أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الإسلام من عهد نوح إلى أن ملكهم نمرود فدعاهم إلى عبادة الأوثان وفي عهد نمرود كان إبراهيم عليه السلام وآزر .

أما ذرية إبراهيم عليه السلام فقد قال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾(٦٦) أخرج عبد بن حميد(٦٧)

---

(٦٣) ٢٨ ك نوح ٧١ .

(٦٤) هو الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، روى عن أبيه والشافعي والقعنبي وخلق ، وعنه النسائي ووثقه . قال ابن يونس : كان المفتى بمصر بأيامه . مات سنة ٢٦٨ هـ .

(٦٥) صاحب كتاب أنساب العرب .

(٦٦) ٢٦ - ٢٨ ك الزخرف ٤٣ .

(٦٧) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي أبو محمد الحافظ قيل اسمه عبد الحميد ، روى عن يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدي وعبد الرازق وخلق ، وعنه مسلم والترمذي وإبراهيم بن خزيم الشاشي ، وصنف المسند والتفسير ، مات سنة ٢٤٩ هـ .

عن ابن عباس ومجاهد[٦٨] في قوله ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾[٦٩] قالا : لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم . وأخرج عن قتادة[٧٠] في قوله﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه ﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده ، وقال تعالى﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾[٧١] أخرج ابن جرير عن مجاهد في الآية فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة[٧٢] أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال لا ، ألم تسمع قوله ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ قيل فكيف لم يدخل ولد

---

(٦٨) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولى السائب بن أبي السائب، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، ولد سنة ٢١ هـ ومات سنة ١٠١ هـ وقيل سنة ١٠٣ هـ .

(٦٩) ٢٨ ك الزخرف ٤٣ .

(٧٠) هو أبو قتادة العدوي البصري مختلف في صحبته ، روى عن عمر بن الخطاب وهشام بن عامر الأنصاري وعمران بن حصين وأسد بن جابر وعبادة بن قرط، وعنه حميد بن هلال وإسحاق بن سويد وعباس بن عبد الله وأبو قلابة الجرمي. ثقة .

(٧١) ٣٥ ك إبراهيم ١٤ .

(٧٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي الأعور أحد أئمة الإسلام ، روى عن عمرو بن دينار والزهري وزياد بن علاقة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق . وعنه الشافعي وابن المديني وابن معين وابن راهويه والقلاس . وهو أمير الحديث ، مات سنة ١٩٨ هـ .

إسحاق وسائر ولد إبراهيم ؟ قال لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوا إذ أسكنهم إياه فقال ﴿اجعل هذا البلد آمنا﴾ لم يدع لجميع البلدان بذلك فقال﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ فيه ، وقد خص أهله وقال ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ... ﴾(٧٣) .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج(٧٤) في قوله تعالى ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفترة يعبدون الله ، وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره ، وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم وهم على دينه لم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي وهو الذي يقال له عمرو بن لحي ، وهو أول من عبد الأصنام وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام .

قال الشهرستاني في (الملل والنحل) كان دين إبراهيم قائما والتوحيد شائعا في صدر العرب وأول من غيَّره ووضع عبادة

---

(٧٣) ٣٧ ك إبراهيم ١٤ .

(٧٤) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي أحد الأعلام ، روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وطاوس والزهري وخلق وعنه ابناه عبد العزيز ومحمد ويحيى الأنصاري والأوزاعي ويحيى القطان والحمادان والسفيانان وخلق . ثقة مات سنة ١٥٠ هـ .

الأصنام عمرو بن لحي . وقال السهيلي في (الروض الأنف) كان عمرو بن لحي حين غلبت الخزاعة على البيت ونفت جرهم وقد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، قال : وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها ، وكانت التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ إلا شريكا هو لك . فأنكر ذلك عمرو وقال وما هذا فقال الشيخ تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب ، وكان عمرو بن لحي قريبا من زمن كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد خرج ابن حبيب[٧٥] في (تاريخه) عن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير وأخرج ابن سعد في (الطبقات) من مرسل عبد الله بن خالد[٧٦] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم » وقال السهيلي في (الروض الأنف) في الحديث المروي « لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا

---

(٧٥) هو عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي القرطبي ، ولد سنة ١٧١ هـ ومات سنة ٢٣٩ هـ .

(٧٦) هو عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم المدني أبو شاكر مولى ابن جدعان ثقة .

مؤمنين » ذكره الزبير بن بكار[٧٧] قال ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا » وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ، قال وكعب بن لؤي أول من جمَّع يوم العروبة ، وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتا منها قوله :

يا ليتني شاهد نجواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال وقد ذكر الماوردي[٧٨] هذا الخبر عن كعب في (كتاب الأعلام) له .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) .

فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى كعب بن لؤي وولده مرة مصرح بإيمانهم إلا آزر ، فإنه مختلف فيه فإن كان والد إبراهيم فإنه يستثنى وإن كان عمه كما هو أحد القولين فيه فهو خارج عن الأجداد وسلمت سلسلة النسب ، وبقي ما بين مرة وعبد المطلب فيه خلاف .

---

(٧٧) هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الأسدي الزبيري قاضي مكة ، روى عن إبراهيم بن المنذر الحزامي وإسماعيل بن أبي أويس وأبي ضميرة أنس بن عياض وابن عيينة ، وعنه ابن ماجه وثعلب النحوي والحسن بن إسماعيل المحاملي وابن أبي الدنيا وآخرون . ألف كتاب السنن وأخبار المدينة . مات سنة ٢٥٦ هـ .

(٧٨) سبق له الترجمة .

قال السهيلي في (الروض الأنف) في حديث الصحيح حين قال أبو جهل وابن أمية لأبي طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال هو على ملة عبد المطلب ، ما نصة : ظاهر هذا الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك ، قال ووجدت في بعض كتب المسعودي[٧٩] اختلافا في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم .

هذا كلام السهيلي والأشبه فيه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري .

وقد ذكر الحليمي[٨٠] في (شعب الإيمان) حديث مسلم إن في أمتي أربعا ليسوا بتاركيهن : الفخر في الأحساب ... وقال عقبة فإن عورض هذا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في اصطفاء بني كنانة وقريش وبني هاشم فالجواب أنه لم يرد بذلك الفخر إنما أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم ، كرجل يقول كان أبي فقيها لا يريد به الفخر وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه . قال وقد يكون أراد به الإشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شيء . انتهى كلام

---

(٧٩) صاحب كتاب مروج الذهب والتنبيه والإشراف .

(٨٠) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم صاحب التصانيف المشهورة ، ثقة .

الحليمي ونقله البيهقي عنه في (شعب الإيمان) وأقره وقد أشار إلي هذا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي[٨١] فقال :

تنقل أحـمـد نورا عظيمـا تلألأ في جبـاه الساجدينا

تقلب فـيـهم قـرنا فـقـرنا إلى أن جـاء خـير المرسلينا

* * *

ومما يستأنس به في حق والدة النبي صلى الله عليه وسلم ما أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) بسند ضعيف من طريق الزهري[٨٢] عن أم سماعة بنت أبي رهم[٨٣] عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام بلغته خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

---

(٨١) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقي . ولد سنة ٧٧٧ هـ ومات سنة ٨٤٢ هـ ، تخرج بنجم الدين عمر بن فهد ، وصار محدث البلد الدمشقية .

(٨٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام ، نزل الشام وروى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم ، وعنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وابن عيينة والليث والأوزاعي وابن جريج وخلق . مات سنة ١٢٤ هـ .

قال ابن منجويه : رأى عشرة من الصحابة وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار ، فقيها فاضلا .

(٨٣) لها ذكر في طبقات ابن سعد .

بارك فـيك الله من غـلام يا بن الذي من حومة الحمام
نجـا بعـون الملك المنعـام فودي غداة الضرب بالسهام
بمائـة من إبـل سـوام إن صح ما أبصرت في المنام
فـأنت مـبـعـوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام
تبـعث في الحل وفي الحـرام تبـعث بالتـحـقـيق والإسلام
دين أبيك البـر إبراهام فـالله أنهـاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت وكل جـديد بال ، وكل كبـير يفنى ، وأنا ميتة ... وذكرى باق ، وقـد تركت خيرا ، وولدت طهرا . ثم ماتت ... الحديث .

خاتمـة

ثم إني لم أدَّع أن المسألة إجماعية بل هي مسألة ذات خلاف غير أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه أنسب بهذا المقام ، وقد نقلت من مجموع بخط الشيخ كمال الدين الشمني والد شيخنا ما نصه : سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسـوله لعنهم الله في الدنيـا والآخرة ...**﴾(٨٤) الآية قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النـار .

---

(٨٤) ٥٧ م الأحزاب ٣٣ .

وقال السهيلي في (الروض الأنف) بعد ذكره الحديث الذي في مسلم ما نصه : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » والله تعالى بقوله : ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله ...﴾ الآية ، قال وقد روى معمر بن راشد الحديث الذي في مسلم بغير هذا اللفظ وروى حديث غريب لعله يصح . ثم ذكر بالحديث في إحيائهما وذكر القاضي عياض[٨٥] في الشفاء أن عمر بن عبد العزيز ذكر كاتبه في هذا المقام، لفظه كذا فعزله ، وقال لا تكتب لي أبدا، والأثر في (الحلية) لأبي نعيم وفي (ذم الكلام) للهروي[٨٦] وفيه أن عمر لما سمعه قال ذلك غضب غضبا شديدا وعزله عن الدواوين .

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

---

(٨٥) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي السبتي الحافظ ، ولد سنة ٤٧٦ هـ وأجاز له أبو علي الغساني ، له عدة مصنفات منها طبقات المالكية وشرح مسلم والمشارق وشرح حديث أم زرع والتاريخ . ولي قضاء سبتة ثم غرناطة مات سنة ٥٤٤ هـ .

(٨٦) هو الإمام الكبير أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهروي السمرقندي محدث ما وراء النهر صاحب الصحيح والتفسير، ولد سنة ٢٢٣هـ ومات سنة ٣١١ هـ .

الدرج المنيفـة
فــي
الآباء الشريفة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . هذا ثالث مؤلف ألفته في مسألة والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخصرها وأوجزها ، فأقول : ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلى أنهما ناجيان ومحكوم لهما بالنجاة في الآخرة ، وهم أعلم الناس بأقوال من خالفهم ، وقال بغير ذلك، ولا يقصرون عنهم في الدرجة ، ومن أحفظ الناس للأحاديث والآثار ومن أنقد الناس للأدلة التي استدل بها أولئك فإنهم جامعون لأنواع العلوم متضلعون من الفنون ، وخصوصا الأربعة التي تستمد منها هذه المسألة فإنها مبنية على ثلاث قواعد كلامية وأصولية وفقهية ، وقاعدة رابعة مشتركة بين الحديث وأصول الفقه ، مع ما يحتاج إليه . ومن سعة الحفظ في الحديث وصحة النقد له وطول الباع في الاطلاع على أقوال الأئمة ، وجمع متفرقات كلامهم ، فلا يظن بهم أنهم لم يقفوا على الأحاديث التي استدل بها أولئك ، معاذ الله بل وقفوا عليها وخاضوا غمرتها وأجابوا عنها الأجوبة المرضية التي لا يردها منصف ، وأقاموا لما ذهبوا إليه كالجبال الرواسي ، والفريقان أئمة أكابر أجلاء ، وقد اختلف القائلون بالنجاة في مدرك ذلك على ثلاث درجات :

الدرجة الأولي : أنهما لم تبلغهما الدعوة لأنهما كانا في زمن من فترة عم الجهل فيها أهل المشرق والمغرب ، فلم يكن إذ ذاك أحد يبلغ الدعوة على وجهها ولا يدري شيئا من الشرائع مع ضميمة أنهما قبضا في حداثة السن ولم يبلغا سنا يحتمل الوقوف على الأخبار والفحص عنها بالأسفار ، فإن والده صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين بن العلائي أنه عاش نحو ثماني عشرة سنة ، ووالدته عاشت نحو العشرين تقريبا مع زيادة أنها مخدرة مصونة محجوبة في البيت لا تجتمع بالرجال ولا تجد من يخبرها ، وإذا كان النساء اليوم مع فشوّ الإسلام والفقه شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية ، والفترة .

وحكم من لم تبلغه الدعوة باتفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه أنه يموت ناجيا ويدخل الجنة ، وعلى ذلك الإمام الشافعي وتبعه سائر الأصحاب ، واستدلوا على ذلك بثمان آيات من القرآن :

الأولى : قوله تعالى﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] .

الثانية : قوله تعالى ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾[2] .

(١) ١٥ ك الإسراء ١٧ .
(٢) ١٣١ ك الأنعام ٦ .

الثالثة : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾(٣) .

الرابعة :﴿ ولو أننا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾(٤) .

الخامسة :﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ﴾(٥) .

السادسة : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾(٦) .

السابعة : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ﴾(٧) .

الثامنة : ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾(٨) .

---

(٣) ٤٧ ك القصص ٢٨ .

(٤) ١٣٤ ك طه ٢٠ .

(٥) ٥٩ ك القصص ٢٨ .

(٦) ١٥٥ ، ١٥٦ ك الأنعام .

(٧) ٢٠٨ ، ٢٠٩ الشعراء ٢٦ .

(٨) ٣٧ ك فاطر ٣٥ .

وبستة أحاديث منها ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل[٩] وإسحاق ابن راهويه[١٠] في مسنديهما والبيهقي في الاعتقاد وصححه عن الأسود بن سريع وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول لقد جاء الإسلام وصبيان يحذفونني بالبعير ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني منك رسول . فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاما ومن لم يدخلها يُسحب إليها .

وما أخرجه البزار[١١] في مسنده بسند حسن على شرط الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(٩) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي الإمام الشهير صاحب المسند والزهد ، روى عن إبراهيم بن سعد وإسماعيل ابن علية وبهز بن أسد وبشر بن الفضل وخلائق . وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحربي والبغوي . ولد سنة ١٦٤هـ ومات سنة ٢٣١هـ .

(١٠) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي أبو يعقوب المروزي ، روى عن ابن علية وروح بن عبادة وسليمان بن حرب وابن عيينة وزكريا بن عدوي وابن مهدي وعبد الرزاق ، ولد سنة ١٦٦هـ ومات سنة ٢٣٨هـ ، أملى المسند والتفسير .

(١١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعد النيسابوري الحاجي البزار ، أحد الأثبات ، مات فجأة سنة ٣٤٩هـ .

وسلم : يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ، ويقول المعتوه أي رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود لم أدرك العمل . فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها فيدخلها من كان في علم الله تعالى سعيداً لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياى عصيتم فكيف برسلي بالغيب .

وما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر[١٢] في تفاسيرهم بسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة قال إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسل ؟ قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاما ، ثم يرسل عليهم أن أطيعوا فيطيعه من كان يريد أن يطيعه . قال أبو هريرة فاقرأوا إن شئتم ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[١٣] .

وحديث رابع أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث ثوبان وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وخامس أخرجه البزار وأبو يعلي من حديثي أنس وسادس أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل .

---

(١٢) هو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن شعبة الهروي مقدم في الفن وصنف . مات سنة ٣٠٣هـ بهراة .

(١٣) ١٥ ك الإسراء ١٧ .

قال العلماء هذه الآيات والأحاديث ناسخة لكل ما خلفها من الأحاديث في مسلم وغيره ، كما أن الأحاديث الواردة في أطفال المشركين أنهم في النار منسوخة بقوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾(١٤) والأحاديث الواردة بخلاف ذلك ، وقد مشى على ذلك المدرك جماعة آخرهم إمام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن حجر(١٥) فقال : الظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم يعني الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم ، ويدل له من الأحاديث ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾(١٦) قال رضاء محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن أبويه فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني

---

(١٤) ١٦٤ ك الأنعام ٦ .

(١٥) هو قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي الكناني والعسقلاني ثم المصري الشافعي ، ولد سنة ٧٧٣هـ ومات سنة ٨٥٢هـ ، له عدة مصنفات منها شرح البخاري وتعليق التعليق والتشويق إلى وصل التعليق والتوفيق وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب ولسان الميزان والإصابة في تمييز الصحابة ، ونكت ابن الصلاح وأسباب النزول وتعجيل المنفعة برجال الأربعة ، والمدرج والمقترب في المضطرب وغيرها .

(١٦) ٥ ك الضحى ٩٢ .

لقائم يومئذ المقام المحمود ، فهذا يلوح بترجي الشفاعة عند الامتحان ولولا عدم بلوغهما الدعوة لم تكن هذه الشفاعة لأن الشفاعة لا تكون لمن بلغته الدعوة وعاند . وقد صرح بهذا التلويح في حديث أخرجه الرازي(١٧) في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية ، أورده المحب الطبري(١٨) وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) وقال : إن ثبت فهو مؤول في أبي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته . انتهى . فاحتاج إلى تأويله في أبي طالب لأنه أدرك البعثة ولم يسلم وقد اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال فيه ناج . وقال بعض الأصحاب ، مسلم ، وقال الغزالي التحقيق أن يقال في معنى المسلم .

الدرجة الثانية : أن الله أحياهما له فآمنا به وذلك في حجة الوداع لحديث في ذلك عن عائشة أخرجه الخطيب البغدادي في

---

(١٧) وهو صاحب تفسير مفاتيح الغيب .

(١٨) هو المحب الطبري الإمام المحدث فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر المكي الشافعي . مصنف الأحكام الكبري وشيخ الشافعية ومحدث الحجاز . ولد سنة ٦١٥ هـ وسمع من ابن المقبر وابن الجميزي وشعيب الزعفراني . مات سنة ٦٩٤هـ .

(السابق واللاحق) والدارقطني وابن عساكر كلاهما في (غرائب مالك) وابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) والمحب الطبري في (سيرته) وأورده السهيلي[١٩] في (الروض الأنف) من وجه آخر بلفظ آخر وإسناده ضعيف ، وقد مال إليه هؤلاء الثلاثة مع ضعفه ، وهكذا القرطبي[٢٠] وابن المنير[٢١] ونقله ابن سيد الناس[٢٢] عن بعض أهل العلم وقال به الصلاح الصفدي[٢٣] في (نظم له) والحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي[٢٤] في أبيات له ، وجعلوه ناسخاً لما خالفه من الأحاديث لتأخره ولم يبالوا بضعفه لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل و المناقب وهذه منقبة . وقد

---

(١٩) هو الحافظ العلامة أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي الضرير صاحب (الروض الأنف) و (التعريفات في مبهمات القرآن) ولد سنة ٥٠٨هـ ومات سنة ٥٨١هـ وسمع من ابن العربي وطائفة ، وأخذ النحو والأدب عن ابن الطراوة والقراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحيى .

(٢٠) وهو صاحب كتاب أحكام القرآن .

(٢١) له ذكر في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، وهو ثقة .

(٢٢) هو الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري الأندلسي الإشبيلي ، خطيب تونس وعالم المغرب ، ولد سنة ٥٩٧هـ ، سمع صحيح البخاري من أبي محمد الزهري ، صاحب شريح . له مجلد في بيع أمهات الأولاد . ومات سنة ٦٥٩هـ .

(٢٣) هو صاحب كتاب نكت الهميان .

(٢٤) هو الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الدمشقي . ولد سنة ٧٧٧هـ ومات سنة ٨٤٢هـ وهو محدث الدمشقية .

أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة التي اتفقت عليها الأمة أنه ما أوتي نبي معجزة أو خصيصة إلا أوتي نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله تعالى لعيسى عليه السلام الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ولم يرو من هذا النوع إلا هذا القصة فلم يستبعد ثبوتها . وإن كان من هذا النمط نطق الذراع وحنين الجذع إلا أن هذه القصة عين ما وقع لعيسى عليه السلام فهو أشبه بالمماثلة . ولا شك أن من الطرق التي يعضد بها الحديث الضعيف موافقته القواعد المقررة ، قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي :

حبا[٢٥] الله النبي مزيد فضل	على فضل وكان به رءوفا
فأحيا أمه وكذا أباه	بإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير	وإن كان الحديث به ضعيفا

الدرجة الثالثة : أنهما كانا على التوحيد ودين إبراهيم عليه السلام كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وعمير بن حبيب الجهني وعمرو بن عتبة في جماعة آخرين ، وهذه طريقة الإمام فخر الدين الرازي ، وزاد أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم إلى آدم على التوحيد لم يكن فيهم مشرك ، قال : ومما يدل على أن آباء محمد صلى الله

(٢٥) وردت هذه الأبيات في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وسلم « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات »[٢٦] وقال الله تعالى﴿ إنما المشركون نجس﴾[٢٧] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده عليه السلام مشركا . قال ومن ذلك قوله تعالى ﴿ الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى الساجدين﴾[٢٨] معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد ، قال : ولهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ، قال وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين ، وإنما ذاك عمه .

أقصى ما في الباب أنه يحمل قوله تعالى ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾[٢٩] على وجوه أخرى . وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ، وبذلك يثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان ، وإن آزر لم يكن والده بل كان عمه . انتهى ملخصا .

وقد وافقه على الاستدلال بالآية الثانية بهذا المعنى الإمام الماوردي[٣٠] صاحب (الحاوي الكبير) من أئمة أصحابنا وقد حدث

---

(٢٦) ورد في مفتاح كنوز السنة .

(٢٧) ٢٨ م التوبة ٩ .

(٢٨) ٢١٨ ، ٢١٩ ك الشعراء ٢٦ .

(٢٩) ٢١٩ ك الشعراء ٢٦ .

(٣٠) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي ، نسبة إلى بيع ماء الورد أقضى قضاة عصره ، من أكابر الفقهاء الشافعيين ومن العلماء الباحثين ، =

ما عضد هذه المقالة من الأدلة ما بين مجمل ومفصل ، فالمجمل دليل مركب من مقدمتين :

إحداهما أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصوله عليه الصلاة السلام من آدم إلى أبيه خير أهل زمانه .

والثانية : الأحاديث الصحيحة والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها .

ومن أدلة المقدمة الأولى حديث البخاري : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه . وحديث البيهقي : ما افترقت الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا . وحديث أبي نعيم وغيره : لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى ومهذبا لا ينشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما ، في أحاديث كثيرة .

= ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ وبها تفقه على الصيمري ثم انتقل إلى بغداد فولي القضاء ببلدان كثيرة ، وفي أيام القائم بأمر الله العباس جعل أقضى القضاة ، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال وله مكانة عند الخلفاء ، من كتبه أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية وأعلام النبوة والحاوي في فقه الشافعية مات سنة ٤٥٠هـ .

ومن أدلة المقدمة الثانية ما أخرجه عبد الرزاق في (المصنف) وابن المنذر في (تفسيره) بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب قال : لم يزل على وجه الأرض من يعبد الله عليها ، وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في (الزهد) والخلال في (كرامات الأولياء) بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم العذاب عن أهل الأرض . وفي آثار أخر .

وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم مشرك لأنه قد ثبت في كل منهم أنه خير قرنه ، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم آباؤه فهو المدعي وإن كان غيرهم وهم على الشرك لزم أحد الأمرين إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بنص القرآن والإجماع وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الأحاديث الصحيحة فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الأرض كل في قرنه .

وأما التفضيل فأخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم و الحاكم في (المستدرك) وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى﴿ كان الناس أمة واحدة﴾[٣١] قال بين

---

(٣١) ٢١٣ م البقرة ٢ .

آدم ونوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين . وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة[٣٢] في الآية قال ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علماء يهتدي بهم وعلى شريعة من الحق ، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض . وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال ﴿رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا﴾[٣٣] فثبت بهذا إيمان أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم إلى نوح ، وولد نوح سام مؤمن بنص القرآن والإجماع أنه نجا مع أبيه في السفينة ولم ينج فيها إلا مؤمن وفي التنزيل﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين﴾[٣٤] . بل ورد في أثر أنه كان نبياً وولده أرفخشد نص على إيمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم[٣٥] في (تاريخ مصر) وفيه أنه أدرك جده نوحا

---

(٣٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه أحد الأعلام روى عن أنس وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وخلف . وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعي وحماد بن سلمة وأبو عوانة وخلق . ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ .

(٣٣) ٢٨ ك نوح ٧١ .

(٣٤) ٧٧ ك الصافات ٣٧ .

(٣٥) هو محمد بن عبد الله بن الحكم المصري الفقيه ، روى عن أبيه والشافعي والقعنبي وخلق وعنه النسائي ووثقه . وقال ابن يونس : كان المفتي بمصر في أيامه . مات سنة ٢٦٨هـ .

دعا له بأن يجعل الله الملك والنبوة في ولده ، ومن شارخ إلى تارخ نص على إسلامهم فى أثر أخرجه ابن سعد[٣٦] في (الطبقات) من طريق الكلبي ، أما آزر فالأرجح كما قال الرازي إنه عم إبراهيم لا أبوه ، وقد سبقه إلى ذلك جماعة من السلف فروينا بالأسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى ، قال : ليس آزر أبا إبراهيم إنما هو إبراهيم بن تارخ ، ووقفت على أثر في تفسير ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه فثبت بما قررناه أن الأجداد الشريفة من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام منصوص على أيمانهم ومتفق عليهم إلا الخلاف في آزر من حيث كونه أباً أو عما فإن كان أبا استثني من الأجداد وإن كان عما خرج منها وسلمت السلسلة ، وأما من بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فقد اتفقت الأحاديث الصحيحة ونصوص العلماء على أن العرب من بعد إبراهيم وهم على دينه لم يكفر منهم أحد قط ، ولم يعبد صنم إلى عهد عمرو بن لحى الخزاعي فإنه أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام وعبد الأصنام وسيب السوائب . وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار » وكان أول من سيب السوائب ، وأخرج

---

(٣٦) هو محمد بن سعد بن منيع البصري الحافظ كاتب الواقدي نزيل بغداد ، روى عن أبي داود الطيالسي الواقدي وهشيم وابن عيينة والوليد بن مسلم وخلق ، وعنه أبو بكر بن أبي الدنيا والحارث بن أسامة . له مجلد « طبقات الصحابة والتابعين » مات سنة ٢٣٠هـ .

ابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت عمرو لحى بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار إنه أول من غير دين إبراهيم عليه السلام » وأخرج أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وإني رأيته يجر قصبه في النار » . قال الشهرستاني في (الملل والنحل) كان دين إبراهيم قائماً والتوحيد في صدر العرب شائعاً وأول من غيره واتخذ عبادة الأوثان عمرو بن لحى .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير : كان العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات ، وزاد في التلبية بعد قوله لا شريك لك قوله : إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، هو أول من قال ذلك ، وتبعه العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح ، يعني إحداث الكفر بعد أن كان سلفهم على الإيمان ، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم .

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : كان عدنان ومعه ربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير .

وأخرج ابن سعد في (الطبقات) من مرسل عبد الله بن خالد

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا مضر فإنه قد كان أسلم » .

وفي (الروض الأنف) للسهيلي يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا » وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبيته صلى الله عليه وسلم بالحج ، وفيه أيضاً أن كعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد في هذا أبياتاً منها قوله :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته إذا قريش تبغي الحق خذلانا

قال السهيلي وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في (كتاب الأعلام) له .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) فثبت بهذا التقرير أن أجداده صلى الله عليه وسلم من إبراهيم إلى كعب بن لؤي وولده مرة منصوص على إيمانهم ولم يختلف فيهم اثنان ، وبقى بين مرة وبين عبد المطلب ، أربعة آباء هم : كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا .

وبقى ثلاثة أدلة متعلقة بعقب إبراهيم المنظومين في سلسلة نسبه الشريفة :

الأولى : قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه قومه إننى براء ما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾[٣٧] .

أخرج عبد بن حميد[٣٨] عن ابن عباس في قوله ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه ﴾ قال : لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم ، وأخرج عن مجاهد[٣٩] مثله ، وأخرج عن قتادة في قوله ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾ قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها بعده . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج[٤٠] في قوله تعالى ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾[٤١] قال في عقب إبراهيم، فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله ، وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وجعلها

---

(٣٧) ٢٦ - ٢٨ ك الزخرف ٤٣ .

(٣٨) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي أبو محمد الحافظ قيل اسمه عبد الحميد، روى عن يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العيدي وعبد الرزاق وخلق ، وعنه مسلم والترمذي وإبراهيم بن خزيم الشاشي وخلق ، وصنف المسند والتفسير . مات سنة ٢٤٩هـ .

(٣٩) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولى السائب ، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، مات سنة ١٠٠هـ وقيل سنة ١٠١هـ .

(٤٠) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي أحد الأعلام روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وطاوس والزهري وخلق ، وعنه ابناه عبد العزيز ومحمد ويحيى الأنصاري والأوزاعي ويحيى القطان والحمادان والسفيانان . مات سنة ١٥٠هـ .

(٤١) ٢٨ ك الزخرف ٤٣ .

كلمة باقية في عقبه﴾ قال الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده .

والثاني : قوله﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾[٤٢] قال فلن يزال من من ذرية إبراهيم أناس على الفطرة يعبدون الله .

الثالث : قوله تعالى﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾[٤٣] أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال فاستجاب الله تعالى لإبراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ، ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة . وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل عليه السلام الأصنام قال : لا ، ألم تسمع قوله﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام قال لأنه دعاء لأهل البلد خاصة أن لا يعبدوا إذ أسكنهم فقال ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ فيه ، فقد خص أهله .

فظهر بجميع ما قررناه من الأدلة والنقول مصداق ما قاله فخر الدين .

---

(٤٢) ٤٠ ك إبراهيم ١٤ .
(٤٣) ٣٥ ك إبراهيم ١٤ .

وما أحسن قول الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين الدمشقي :

تنقل أحمد نورا عظيما	تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا	إلى أن جاء خير المرسلينا

ولم يبق بعد المذكورين إلا عبد المطلب ، وفيه خلاف بين الناس والأحسن في شأنه أنه لم تبلغه الدعوة .

قال الشهرستاني ظهر نور النبي صلى الله عليه وسلم في أسارير عبد المطلب بعض الظهور وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده وببركته قال لأبرهة إن لهذا البيت رباً يحفظه ، ومنه قال وقد صعد أبا قيس :

لاهم إن المرء يمنع رحله	فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم	ومحالهم أبدا محالك
فانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك

وببركة ذلك النور كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور ، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبته فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار دار يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيىء بإساءته .

فهذا يدل على أنه لم تبلغه الدعوة على وجهها ولم يجد من يعرفه حقيقة ما جاءت به الرسل ، فإنه لو وجد من يخبره بأن الأنبياء جاءت بالبعث لم يكن في غفلة منه حتى وقعت هذه الواقعة فتفكر فيها واستدل بها على أن ثم دارا أخرى .

- وفيه قول ساقط أن الله تعالى أحياه حتى آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، حكاه ابن سيد الناس في (السيرة) وغيره . وهو مردود ولا أعرفه عن أحد من أئمة السنة إنما يحكي عن بعض الشيعة وهو قول لا دليل عليه ، ولم يرد ، فإن القائل يدعي أن عبد المطلب أحيي وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وصار على ملته ، والإمام فخر الدين لا يقول هذا بل يقول إنه كان في الأصل على ملة إبراهيم من غير أن يحصل له دخول في هذه الملة .

ويعضد ذلك في أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرجه أبو نعيم في (دلائل النبوة) بسند ضعيف من طريق الزهري[٤٤] عن أم سماعة[٤٥] بنت بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

---

(٤٤) هو الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام ، نزل الشام وروى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر وأنس ، مات سنة ١٢٤ هـ . روى عنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وابن عيينة والليث والأوزاعي وابن جريج .

(٤٥) لها ذكر في خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي ٤٧١ .

بارك الله فيك من غلام ... يا بن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من الإبل السوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل والحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال ، وكل كثير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق ، وقد تركت خيراً وولدت طهراً . ثم ماتت وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاة البرة الأمينه ... ذات الجحا والفقه الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه ... أم نبي الله ذي السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه ... صارت لدى حفرتها رهينه

فأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام والاعتراف بدين إبراهيم عليه السلام ، ويبعث ولدها إلى الأنام من عند ذى الجلال والإكرام ، وهذه الألفاظ منافية للشرك ، ثم إني استقريت أمهات الأنبياء فوجدت أكثرهن منصوصاً على إيمانهن ومن لم ينص عليها سكت عنها فلم ينقل فيها شيء

ألبتة ، والظاهر إن شاء الله إيمانهن ، وكان السر في ذلك ما يرينه من النور كما ورد في الحديث أخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية[٤٦] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال حملها وولادتها له رأت من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء ، كما سقنا الأخبار بذلك في (كتاب المعجزات) وهذا ثالث مؤلف ألفته في هذه المسألة وهو أخصرها ولي مؤلف رابع في حديث إحيائهما والكلام من جهة صناعة الحديث خاصة وقد شرعت في عمل خامس وهو مقامة منثورة على طريق الإنشاء .

---

(٤٦) هو عرباض بن سارية السلمي كنيته أبو نجيم ، كان من أهل الصفة ، نزل حمص ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي عبيدة بن الجراح ، ثقة مات سنة ٥٧هـ .

خاتمة

نقلت من مجموع بخط شيخ كمال الدين الشمني[٤٧] والد شيخنا الإملم تقي الدين رحمه الله تعالى ما نصه : سئل القاضي أبو بكر ابن العربي[٤٨] عن رجل قال إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى قال ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾[٤٩] قال لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار . انتهى .

وأورد المحب الطبري في (كتاب ذخائر العقبى) عن أبي هريرة قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال : ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله .

---

(٤٧) له ذكر في طبقات المفسرين للداودي .

(٤٨) هو الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، ولد سنة ٤٦٨هـ ورحل إلى المشرق وسمع من طراد الزينبي ونصر بن البطر ونصر المقدسي وابن الحسن الخلعي ، وتخرج بأبي الغزالي وأبي بكر الشاشي وأبي زكريا التبريزي ، صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ ، مات سنة ٥٤٣هـ .

(٤٩) ٥٧ م الأحزاب ٣٣ .

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن يونس[٥٠] قال : سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أتي بكاتب يخط بين يديه وكان مسلماً وأبوه كافرا فقال عمر للذي جاء به ولو كنت جئت به من أبناء المهاجرين فقال الكاتب فقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر كلمة أسقطتها أنا ، فغضب عمر وقال لا تخط بين يدي بالقلم أبدا .

وأخرج شيخ الإسلام الهروي[٥١] في ذم الكلام من طريق أبي جميلة قال : قال عمر بن عبد العزيز[٥٢] لسليمان بن سعد بلغني أن أباك عاملنا بمكان كذا وكذا وهو كافر قال : وقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر ما بعد الكلام وأسقطته أنا، فغضب عمر غضباً شديداً وعزله من الدواوين .

---

(٥٠) هو أبو سعيد بن يونس عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، صاحب تاريخ مصر ، ولد سنة ٢٨١هـ ومات سنة ٣٤٧هـ .

(٥١) هو عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الباهلي أبو حفص الصيرفي الفلاس الحافظ ، روى عن ابن علية ويحيى القطان وابن مهدي وابن نمير وخلق ، وعنه الأئمة الستة وآخرون ، ثقة صاحب حديث حافظ . مات سنة ٢٤٩هـ .

(٥٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين والإمام العادل ، روى عن أنس وصلى أنس خلفه ، وعن الربيع ابن سبرة والسائب بن زيد وسعيد بن المسيب وجماعة ، وعنه ابناه عبد الله وعبد العزيز وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، والزهري وهما من شيوخه . ثقة مات سنة ١٠١هـ .

وذكر القاضي تاج الدين السبكي[٥٣] في كتابه (الترشيح) قال : قال الشافعي رحمه الله تعالى في بعض نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لها شرف فكلم فيها فقال لو سرقت فلانة – لامرأة شريفة – لقطعت يدها . قال ابن السبكي فانظر إلى قوله فلانة ولم يبح باسم فاطمة تأدباً معها أن يذكرها في هذا المعرض وإن كان أبوها صلى الله عليه وسلم قد ذكرها لأنه يحسن منه ما لا يحسن من غيره ، انتهى كلام السبكي .

وقد جرى على الأدب الإمام أبو داود صاحب السنن فإنه أخرج في سننه حديثاً في آخره شيء يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى إلى ذكره قال : فذكر تشديداً ولم يصرح بشيء ، والحديث متمم في مسند أحمد وسنن النسائي[٥٤] .

---

(٥٣) هو الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي النحوي اللغوي الأديب المجتهد تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي ، أخذ الفقه عن ابن الرفعة والحديث عن الشرف الدمياطي والقراءات عن التقي الصائغ والأصلين والمعقول عن العلاء الباجي والخلاف والمنطق عن السيف البغدادي ، والنحو عن أبي حيان والتصوف عن التاج بن عطاء . مات سنة ٧٥٦هـ .

(٥٤) هو أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي ، روى عن ابن جوصا وابن السني وأبو سعيد بن الأعرابي والطحاوي وأبو علي النيسابوري وابن عدي وابن يونس والعقيلي وابن الأخرم وأبو عوانة وآخرين . له عدة مصنفات : السنن الكبرى والصغرى وخصائص علي ومسند علي ومسند مالك وغير ذلك . مات سنة ٣٠٣هـ وكان مولده سنة ٢١٥هـ .

وهذا وأمثاله إرشاد من هؤلاء الأئمة وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأدباً ، ولهذا سكت في مثل هذا الكتاب وفي سائر المؤلفات التي ألفتها في هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة واقتصرت علي حكاية الفرق الثلاث والله المستعان .

تنزيه الأنبياء
عن
تشبيه الأغبياء



بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فحمداً لله غافر الزلات ومقيل العثرات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنزل عليه في كتابه العزيز ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾[1] وعلى آله وصحبه النجوم النيرات .

فهذا جزء سميته (تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء) والسبب في تأليفه أنه وقع أن رجلاً خاصم رجلاً فوقع بينهما سب كثير فقذف أحدهما عرض الآخر فنسبه الآخر إلى راعي المعزى ، فقال له إذّاك : تنسبني راعي المعزى ، فقال له ، والد القائل : الأنبياء راعو المعزى ، وما من نبي إلا راعى المعزى ، وذلك بسوق الغزل بجوار الجامع الطولوني بحضرة جمع كثير من العوام فترافعوا إلى الحكام ، فبلغ الخبر قاضي القضاة المالكي فقال له : لو دفع إليّ ضربته بالسياط ، فسئلت : ماذا يلزم الذي ذكر الأنبياء مستدلاً بهم في هذا المقام ، فأجبت بأن هذا المستدل يعزر التعزير البليغ لأن

(١) ٨ ك فاطر ٣٥ .

مقام الأنبياء أجل من أن يضرب مثلاً لآحاد الناس ، ولم أكن عرفت من هو القائل ذلك فبلغني بعد ذلك أنه الشيخ شمس الدين الحمصاني إمام الجامع الطولوني وشيخ القراء ، وهو رجل صالح في اعتقادي ، فقلت : مثل هذا الرجل تقال عثرته ، وتغفر زلته ، ولا يعزر لهفوة صدرت منه ، وكتبت ثانيا بذلك فبلغني أن رجلاً استنكر مني هذا الكلام وقال إن هذا القائل لا ينسب إليه في ذلك عثرة ولا ملام ، وإن ذلك من المباح المطلق الذي لا ذنب فيه ولا آثام ، واستفتى على ذلك من لم تبلغه واقعة الحال فخرجوه على ما ذكره القاضي عياض[٢] في مذاكرة العلم لأجل ذكر لفظ الحكم للاستدلال في الجواب والسؤال ، فخشيت أن تشرئب العوام بهذا الكلام ، فيكثروا من استعماله في المجادلات والخصام ، ويتصرفوا فيه بأنواع من عباراتهم الفاسدة فيؤديهم إلى أن يتمرقوا من دين الإسلام ، فوضعت هذه الكراسة نصحاً للدين وإرشاداً للمسلمين والسلام .

ولنبدأ بالفصل الذي ذكره القاضي عياض في الشفاء في تقرير ذلك فإنه جمع فيه فأوعى وحزر واستوفى .

---

(٢) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ . ولد سنة ٤٧٦ هـ ، أجاز له أبو علي الغساني ، وتفقه وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان كالشفاء وطبقات المالكية وشرح مسلك والمشارق في الغريب وشرح حديث أم زرع والتاريخ وغير تلك . وولى قضاء سبتة ثم غرناطة . مات سنة ٥٤٤ هـ .

فصـــل

قــال :

الوجه الخامس أن لا يقصد ولا يذكر عيباً ولا سباً ولكن ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدين على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق الناسي وطريق التحقيق بل على قصد الترفيع لنفسه أو غيره ، أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم أو قصد الهزل والتندر بقوله كقول القائل إن قيل فيّ السوء فقد قيلَ في النبي صلى الله عليه وسلم وإن كُذبت فقد كُذب الأنبياء وإن أذنبت فقد أذنبوا . أو أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله ، أو قد صبرت كما صبر أولو العزم أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله على عداه ، وحلم عليهم أكثر مما صبرت وكقول المتنبي[٣] :

أنا في أمــة تداركــهـا الله غـريب كـصـالح في ثمـود[٤]

---

(٣) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور ، وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة ابن عبد الجبار وهو من أهل الكوفة ولد سنة ٣٠٣ هـ وقتل سنة ٣٥٤ هـ .

(٤) ورد هذا البيت في ديوانه .

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري(٥) :

كنت موسى وأنت بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد وأدخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه ، وكذا قوله :

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل(٦)

فصدر البيت الثاني من هذا الفضل شديد تشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز فيه محتمل بوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه أشد ، ونحو منه قول الآخر :

وإذا ما ارتفعت رايته صفقت بين جناحي جبريل

وقول الآخر من أهل العصر :

فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان

---

(٥) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخي المعري اللغوي الشاعر ولد سنة ٣٦٣ ومات سنة ٤٤٩ .

(٦) وردت هذه الأبيات في ديوانه .

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون :

كن أبا بكر أبو بكر الرضي   وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا ، وإنما كثرنا الشواهد مع استثقالنا لحكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء ، وقلة عملهم بعظيم ما فيه من الوزر ، وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ، ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، ولا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحاً ابن هانئ الأندلسي[٧] وأبو سليمان المعري . بل قد خرج كثير من كلامهم عن هذا إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر ، وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته ، فإن هذه كلها وإن لم تتضمن شيئاً ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصاً ، ولست أعنى عَجزي بيتي المعري ولا أقصد قائلها إزراء ونقصاً ، فما وقر النبوة وعظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين

---

(٧) هو أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور انظر : المطمح ٧٤ ، المطرب ١٩٢ ، جذوة المقتبس ٨٩ ، بغية الملتمس ٣٠١ ، نفح الطيب ٤/ ٤٠ .

كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده ، فحق هذا إن دريئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله وندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به ، وقد أنكر الرشيد على أبي نواس[8] قوله :

فإن يك باق سحر فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب[9]

وقال له يا بن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى ، وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته ، إلى أن قال : فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا ، وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس[10] وأصحابه ففي النوادر من رواية

---

(٨) هو أبو على الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ، كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان .

انظر : الأغاني ٣/٢٠ ، تاريخ بغداد ٣٤٦/٧ ، الشعر والشعراء ٦٨ ، تهذيب ابن عساكر ٢٥٤/٤ ، طبقات ابن المعتز ١٩٣ ، نزهة الألباب ٢٤٩ .

(٩) ورد هذا البيت في وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(١٠) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميدي أبو عبد الله المدني شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة ، روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وخلق ، وعنه الشافعي ، له نحو ألف حديث . قال الشافعي : إذا جاء الأثر فمالك النجم ، مات سنة ١٧٩هـ .

ابن أبي مريم[١١] عنه في رجل عير رجلاً بالفقر ، تعيرني الفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم ، فقال مالك : قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ، أرى أن يؤدب .

قال : ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا ، وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتباً يكون أبوه عربياً ، فقال كاتب له : قد كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا . فقال : جعلت هذا مثلا ، فعزر . وقال : لا تكتب لي أبدا .

وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيراً له وتعظيماً كما أمرنا الله تعالى وقال القابسي[١٢] عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ، وقال لرجل عبوس كأنه وجه مالك ، في الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ، وإن قصد ذلك قتل ، وقال أيضاً في شاب معروف بالخير قال رجل شيئاً فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم أمياً ، فشنع عليه

(١١) هو سعيد بن أبي مريم الجمحي مولاهم هو ابن الحكم بن محمد بن سالم المصري الحافظ ، روى عن مالك والليث وأسامة بن زيد وخلق وعنه ابن معين والبخاري والذهلي ومحمد بن إسحاق الصاغاني وأبو حاتم وآخرون ، كان فقيهاً . ولد سنة ١٤٤هـ ومات سنة ٢٢٤هـ .

(١٢) هو الحافظ المحدث علامة المغرب أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي ، ولد سنة ٣٢٤هـ ومات سنة ٤٠٣هـ ، وكان حافظاً للحديث والعلل ، بصيرا عارفاً بالأصلين ، رأساً في الفقه ضريراً زاهداً ورعاً ، له تصانيف بديعة .

مقاله وكفره الناس ، وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكون النبي صلى الله عليه وسلم أمياً آية له وكون هذا أمياً آية نقيصة وجهالة ، ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل ، وما طريقة الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه .

ونزلت أيضاً مسألة استفتي بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور(١٣) في رجل تنقَّصه رجل آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر ، وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب ، وكان بعض الفقهاء بالأندلس أفتى بقتله .

هذا كله كلام القاضي عياض في الشفاء ، وتفطن بقوله في أول الفصل على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره . كيف سوى في الحكم بين ضارب المثل والمحتج . والمحتج هو المستدل ومراده

---

(١٣) هو القاضي محمد بن منصور التلمساني القرشي ، كبير قطره في عصره نباهة ووجاهة وقوة في الحق وصرامة ، وكان أثيراً لدى سلطانه قلده مع قضائه وكتابة سره ، وكان ذا حظ وافر من علم العربية واللغة والتاريخ . مات سنة ٧٣٦هـ .

المستدل في الخصومات والتبري من المعرات ، وكذلك قوله ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله . فإن الاستشهاد بمعني الاستدلال ، وكذلك قوله في آخر الفصل لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله : ومن جهالته احتجاجه أصحابه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذه المواضع كلها صريحة في تخطئة المستدل في مثل هذا ووجب تأديبه . وإنما نبهت على هذا لأنه أنكر على ذكر لفظ المستدل في إفتاء وليس بمنكر فإن المستدل مقام التدريس والإفتاء والتصنيف وتقرير العلم بحضرة أهله ، وهذا لا إنكار عليهم كما سيأتي .

وتارة تكون في الخصام والتبري من معرة أو نقص نسب إليه ، هو أو غيره ، وهذا محل الإنكار والتأديب ولا سيما إذا كان بحضرة العوام في الأسواق ، وفي التفاوض بالسب والقذف ونحو ذلك ، ولكل مقام مقال ، ولكل محل حكم يناسبه ، وكذلك الأثر الذي أشار إليه القاضي عن كاتب عمر بن عبد العزيز فإنه ما قصد بما ذكره إلا الاحتجاج على أنه لا ينقصه كفر أبيه ، والاستدلال عليه ، ولذلك أنكره عليه عمر وصرفه عن عمله .

أخبرني شيخنا قاضي القضاة شيخ الإسلام علم الدين ابن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني الشافعي رحمهما الله إجازة عن أبيه شيخ الإسلام أن الشيخ تقي الدين السبكي أخبره عن

الحافظ شرف الدمياطي[١٤] أنبأنا الحافظ يوسف بن خليل[١٥] أنبأنا أبو المكارم اللبان[١٦] أنبأنا أبو علي الحداد[١٧] أنبأنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء أنبأنا أحمد بن إبراهيم الدورقي[١٨] حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس[١٩] قال : سمعت بعض شيوخنا يذكر أن عمر بن عبد العزيز أتي بكاتب يخط بين يديه وكان أبوه كافراً فقال عمر للذي جاء به : لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين ، فقال

---

(١٤) هو الإمام العلامة الفقيه النسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الشافعي ، ولد سنة ٦١٣ هـ ومات سنة ٧٠٥ هـ ، صنف كتاب الخليل والصلاة الوسطى . مات سنة ٧٠٥ هـ .

(١٥) هو الحافظ المفيد الإمام مسند الشام شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي الآدفوي محدث حلب ، ولد سنة ٥٥٥ هـ ، واشتغل بالحديث وله ثلاثون وتخرج بالحافظ عبد الغني . أخذ عنه الدمياطي وإبراهيم ابن العجمي . ثقة مات سنة ٦٤٨ هـ .

(١٦) له ذكر في سير أعلام النبلاء .

(١٧) ثقة ذكره أبو نعيم في عدة أحاديث .

(١٨) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي الدورقي ، روى عن ابن علية وجرير بن عبد الحميد وأبي داود الطيالسي . وعنه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وبقى بن مخلد ويعقوب بن شيبة ولد سنة ١٦٨ هـ ومات سنة ٢٤٦ هـ .

(١٩) هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس اليربوعي أبو عبد الله الكوفي ، روى عن إبراهيم بن سعد وإسرائيل بن يونس وإسماعيل بن عياش ، وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو زرعة الرازي ، ثقة مات سنة ٢٢٧ هـ .

الكاتب : ما ضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر أبيه ، فقال عمر : قد جعلته مثلا ، لا تخط بين يدي بقلم أبدا . هكذا أخرجه في الحلية ، فالكاتب قصد بهذا الكلام الاحتجاج والاستدلال على نفي النقص عنه وقال عمر في الرد عليه إنه جعله مثلا ، فعلم أن المستدل لا منافاة بينه وبين ضارب المثل ، والجامع بينهما أن ضرب المثل يراد للاستشهاد كما أن الاستدلال كذلك ، فبهذا القدر المشترك يصح إطلاق المستدل على ضارب المثل وعكسه ، ومن له إلمام بالأحاديث والآثار وكلام المتقدمين لا يستنكر ذلك . فإنهم كثيراً ما يطلقون ضرب المثل على الحجة ، وبهذا سوى بينهما القاضي عياض حيث قال على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره .

ومما أطلق فيه الأولون ضرب المثل والحجة ما خرجه ابن ماجه وغيره عن أبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لرجل يا بن أخي إذا حدثتك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلا تضرب له الأمثال ، وكان عارضه بقياس من الرأي كما في بعض طرق الحديث عن الهروي(٢٠) في ذم الكلام ، أي فلا تقابله بحجة من رأيك فأطلق أبو هريرة على الحجة والاستدلال ضرب المثل ، واللغة

---

(٢٠) هو الحافظ الكبيرأبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهروي السمرقندي محدث ما وراء النهر وصاحب الصحيح والتفسير ولد سنة ٢٢٣ هـ مات سنة ٣١١ هـ .

أيضا تشهد لذلك قال في الصحاح : ضرب مثلا وصف وبين ، وقال ابن الأثير في النهاية[٢١] : ضرب الأمثال اعتبار الشيء لغيره وتمثيله به إنما حكمت في الإفتاء على لفظ المستدل وعللته بضرب المثل لأعرف أن المستدل الذي حكمت عليه هو المحتج بضرب ذلك مثلا للغير لا المستدل في الدرس والتصنيف ومذاكرة العلم بين أهله فإن ذلك لا يسمى في عرف العلماء ضرب مثل ، وقصدت أيضا الاقتداء بالخليفة عمر بن عبد العزيز في لفظه .

وقد وجدت للقصة طريقا آخر ، قال الهروي في ذم الكلام أنبأنا أبو يعقوب أنبأنا أبو بكر بن أبي الفضل[٢٢] أنبأنا أحمد بن محمد ابن يونس ثنا عثمان بن سعيد[٢٣] ثنا يونس القسطلاني [٢٤] ثنا حمزة[٢٥] ثنا علي بن أبي جميلة[٢٦] قال قال عمر بن عبد العزيز لسليمان بن سعد بلغني أن أبا عاملنا كذا وكذا زنديق ، قال وما يضره ذلك يا أمير المؤمنين، قد كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فما ضره ، فغضب عمر غضبا شديدا وقال : ما وجدت له مثلا غير النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فعزله عن الدواوين .

---

(٢١) يقع هذا الكتاب في ٤ أجزاء .

(٢٢) له ذكر في تذكرة الحفاظ للذهبي .

(٢٣) هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني الإمام الحجة الحافظ أبو سعيد محدث هراة ، له سؤالات في الرجال ، ومسند ، مات سنة ٢٨٠ هـ .

(٢٤) له ذكر في سير أعلام النبلاء للذهبي وأيضا المعين للذهبي .

(٢٥) ثقة روى عنه الدارقطني في عدة أحاديث .

(٢٦) له ذكر في طبقات الحفاظ للسيوطي ١٥٠ .

ومما وقع في عبارة العلماء من إطلاق ضرب المثل على الاستدلال ما وقع في عبارة ابن الصلاح في جوابه الذي ألفه في صلاة الرغائب حيث ذكر إنكار الشيخ عز الدين بن عبد السلام(٢٧) لها وقال إنه ضرب له المثل بقوله ﴿أرأيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى﴾ . وأما (الفصل السابع من الشفاء) الذي قال المعترض إن المسألة فيه فنذكره ليعلم من علم واقعة الحال أنه غير مطابق لها .

قال القاضي عياض : الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه ، وما يطرأ عن الأمور البشرية به ، ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ، ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه . كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم ، وهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ، ولا في مقصد اللافظ ، لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ، ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو يخشى به

---

(٢٧) غني عن التعريف ومواقفه مشهور ضد أعداء الإسلام ، ولد سنة ٥٧٧ هـ ومات سنة ٦٦٠ هـ .

فتنة ، فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن .

هذا كلام القاضي في الفصل السابع فانظر كيف فرض المسألة في رواية الحديث ومذاكرة العلم ، ثم لم يطلق ذلك بل قيده بأن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء الطلبة وهذه الواقعة لم تكن في مذاكرة العلم ولم يحضرها طالب ألبتة ، بل كانت في السباب والخصام في سوق الغزل بحضرة جمع من التجار والدلالين والسوقة ، وكلهم عوام وأكثرهم سفهاء الألسن يطلقون ألسنتهم في كثير من الأمور بما يوجب سفك دمائهم ولا يعلمون عاقبة ذلك ، فيقال لمن أنكر ما أفتيت به إن لم يعرف عين الواقعة : فأنت معذور وقولك لا تعزير ولا عثرة إن أردت فيما وقع في مجلس الدرس ومذاكرة العلم بين أهله فمسلم وليس هو صورة الواقعة ، وإن أردت ما وقع في السوق بالصفة المشروحة فمعاذ الله وحاشا المفتين أن يقولوا ذلك .

وبعد هذا كله فلست أقصد بذلك غضا من القائل ولا حطا عليه فإني أعتقد دينه وخيره وصلاحه ، وإنما هي بادرة بدرت وزلة فرطت وعثرة وقعت فيستغفر الله منها ويتوب ، ويندم على ما وقع منه ولا يعود ، ولا يقدح ذلك في صلاحه ، فإن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في قواعده : من ظن أن الصغيرة تنقص الولاية

فقد جهل ، وقال إن الولي إذا وقعت منه الصغيرة فإنه لا يجوز للأئمة والحكام تعزيزه عليها ، ونص الشافعي رضي الله عنه على أن ذوي الهيئات لا يعذرون للحديث ، وفسرهم بأنهم الذين لا يُعرفون بالشر يزل أحدهم الزلة فيترك ، وفسرهم بعض الأصحاب بأنهم أصحاب الصغائر دون الكبائر ، وفسرهم بعضهم بأنهم الذين إذا وقع منهم الذنب تابوا وندموا .

والأحاديث الواردة في إقالة ذوي الهيئات عثراتهم كثيرة .

وأخرج أحمد في مسنده والبخاري في الأدب وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود . وأخرجه النسائي من وجه آخر بلفظ : تجاوزوا عن زلة ذي الهيئة . وأخرج باللفظ الأول الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود وابن عدي[28] في الكامل[29] من حديث أنس رضي الله عنه ، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه بلفظ : تجافوا عن عقوبة ذي المروءة إلا في حدود الله .

---

(٢٨) هو الحافظ الكبير أبو أحمد بن عدوي بن عبد الله بن محمد بن مبارك الجرجاني . ويعرف أيضا بابن القطان صاحب الكامل في الجرح والتعديل . ولد سنة ٢٧٧ هـ ومات ٣٦٥ هـ ، روى عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة والنسائي وأبي يعلي ، وعنه ابن عقدة والماليني وحمزة السهمي وغيرهم .

(٢٩) ظهر بعده من يكتب في هذا الموضوع .

وأخرجه في المعجم الأوسط من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر . وأخرجه بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية[(٣٠)] .

قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه (طريق المعدلة) في قتل من لا وارث له : قول الأصحاب : من قتل قتيلا لا وارث له فللسلطان الخيرة بين أن يقتص منه أو يعفو على الدية ، وليس له العفو مجانا كأنهم ذكروه على الغالب ، وقد يظهر للإمام من المصلحة ما يقتضي العفو عنه مجانا إذا كان لا مال له ولا يقدر على الكسب وفيه صلاح وخير ونفع للمسلمين ، ولكن فرطت منه تلك البادرة فقتل بها وظهرت توبته وحسنت طريقته . فالقول بأن هذا لا يجوز للإمام العفو عنه بعد ، لا سيما إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إلى ذلك القدر الذي يؤخذ منه .

فالرأي عندي أن يكون ذلك مفوضا إلى رأي الإمام ، والإمام يجب عليه فيما بينه وبين الله أن يختار الأمانة ومصلحة ظاهرة للمسلمين ، ولا يقدم على سفك دم مسلم بمجرد ما يقال له إن هذا جائز ، فجوازه منوط بظهور المصلحة فيه للمسلمين ولإقامة الدين

---

(٣٠) كذلك في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

لا لحظ نفسه ولا لغرض من أغراض الدنيا ، وحيث شك في ذلك يتعين الكف عن الدم وتبقية ذلك الشخص لأنه نفس معصومة إلا بحقها ، فمتى قتلها من غير مرجح أخشى عليه أن يدخل فيمن قتلها بغير حقها . انتهى كلام السبكي .

فإذا جوز السبكي العفو عمن فيه صلاح وخير ونفع للمسلمين من القتل قصاصا مجانا بلا دية فمن فرطت منه من باب أولى ، وهذه لا شبهة فيها .

عود على بدء ، قال ابن السبكي في كتابه (الترشيح) قال الشافعي رضي الله عنه في بعض نصوصه : وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لها شرف فكلم فيها قال : لو سرقت فلانة لامرأة شريفة لقطعت يدها . قال ابن السبكي فانظر إلى قوله فلانة ولم يبح اسم فاطمة رضي الله عنها منعا أن يذكرها في هذا المعرض ، وإن كان أبوها صلى الله عليه وسلم قد ذكرها لأن ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن دال على أن الخلق عنده في الشرع سواء . انتهى .

فهذا من صنع الشافعي ثم من تقرير ابن السبكي أصل في هذه المسألة ونقل من حيث مذهبنا . فقوله تأدبا يدل على أنه من غيره قبيح ، هذا مع كون الشافعي إنما ساق الحديث مساق الاحتجاج على المسائل الشرعية ، ومساق تقرير العلم في التصنيف الذي لا

يقف عليه إلا أهله ، بل لو صرح بالاسم في هذا المحل لم يكن فيه شيء ، وأمر آخر : أن النقص المذكور واقع في حين لا هو منفي عنها وإلا ثبت لها وإنما ذكر على سبيل الفرض الذي لا سبيل إلى وقوعه ، فكيف يظن بالشافعي أنه يخالف ما قرره المالكية في المسألة التي نحن فيها ، وإنما ذكرت هذه الكلام لأن قائلا قال هذا الذي أفتيت به مذهب المالكية ليس بمنصوص في مذهبك ، وكذا يقع لأهل العصر كثير يدعون علينا في فتاوٍ كثيرة أنها مخالفة للمذهب بمجرد كونها غير منصوصة لا بنفي ولا بإثبات ، كما وقع لنا في العام الماضي حين أفتينا بهدم الدار التي بنيت برسم الفساد فادعوا أن ذلك خلاف المذهب بمجرد كون الأصحاب لم ينصوا عليها ، على أن الغزالي وغيره أشاروا إليها كما بيناه في التأليف الذي ألفناه فيها ، ثم نقول في هذه وغيرها قولهم : ما أفتيت به خلاف المذهب مستدلين على ذلك بعدم وجود المسألة منصوصا عليها معارض بأن نقول لهم : ما أفتيتم أنتم به أيضا خلاف المذهب لأن المسألة غير منصوص عليها ، فكما استندتم إلى العدم في نسبة الخلاف التي استندت إلى العدم في نسبته إليكم فإن الإثبات والنفي كلاهما حكم شرعي يحتاج إلى دليل أو نقل ، فإن قالوا أخذناه من القواعد ، قلت وأنا أيضا أخذته من القواعد ، وعليّ بيان ذلك لمن يريد الإنصاف ، فمن قال التعزير في هذه المسألة خلاف المذهب لأن الأصحاب لم ينصوا عليها أقول له : تقبل نص الأصحاب أنه

لا تعزير فيها حتى المقدم على القول به وتنسبه إلى مذهب الشافعي ، وكذلك من قال القول بهدم الدار الموصوفة بالصفات التي شرحتها في تأليفها خلاف المذهب لأنه لم ينص عليها ، أقول له ، فهل نصوا على أنها لا تهدم حتى استندت إليه ، وإذا حصل الاستواء في الجانبين من حيث عدم النص ووجدت النقول في المذاهب بأحدهما والأدلة ثابتة عليه من الأحاديث والآثار وجب الوقوف عنده ، وعدم التجاوز إلى الجانب الآخر إذا لم يكن في قواعد مذهبنا ما يخالفه .

وقد وقع في فتاوى ابن الصلاح أنه سئل عن مسألة لا نص فيها للأصحاب فأفتى فيها بالنصوص في مذهب أبي حنيفة[٣١] وبين ذلك . وقرر النووي[٣٢] في شرح المذهب مسألة لا نقل فيها عندنا وأجاب فيها بمذهب الحسن البصري وقال إنه ليس في قواعدنا ما ينافيه ، وسئل البلقيني عن مسألة فقال : لا نقل فيها عندنا وأجاب

---

(٣١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي فقيه أهل العراق ، رأى أنسا وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء وعاصم بن أبي النجود والزهري وقتادة وخلق . وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وزفر . ثقة ولد سنة ٨٠ هـ ومات سنة ١٥٠ هـ .

(٣٢) هو الإمام الفقيه محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي ولد سنة ٦٣١ هـ ومات سنة ٦٥٦ هـ ، شرح مسلم والروضة وشرح المهذب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب وتهذيب الأسماء واللغات ومختصر أسد الغابة .

فيها بما ذكره القاضي عياض في (المدارك) وذكر بعض الأصحاب مسألة لا نقل فيها عندنا وأفتى فيها بالمنقول في مذهب الحنابلة وذكر الزركشي[٣٣] في الخادم مسألة مسح الخف للمحرم وقال لا نقل فيها عندنا وأجاب بالمنقول في مذهب المالكية في أشياء كثيرة لا تحصى ، وقد استوعبتها في كتابي (الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع) ومسألة الهدم نص عليها أئمة المذاهب الثلاثة وأشار إليها الغزالي وطائفة وثبتت فيها الأحاديث الصحيحة والآثار الكثيرة عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وابن مسعود وابن الزبير وابن عباس وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم وغيرهم سلفاً وخلفا ، ولا نص في مذهبنا بخلاف ذلك إلا قولهم إنه لا تعزير بإتلاف المال ، وهذه القاعدة مخصوصة ليست على عمومها بدليل قولهم : تكسر آنية الخمر والأواني المثمنة إذا كان فيها صورة إلى غير ذلك ، فعلم أن القاعدة مخصوصة بمال تعين إتلافه طريقاً لإزالة الفساد ، وتقرير ذلك بإيضاحه يستدعي طولا ، وقد بسطته في التأليف المشار إليه ، وكذلك نقول في هذه المسألة : قد نص أئمة المالكية على التعزير فيها ولم ينص أصحابنا على خلافه ولا في قواعد مذهبنا ما ينفيه ، فوجب الوقوف عنده والعمل به ، وهذا النص الذي أوردناه عن الشافعي رضي الله عنه يصلح أصلا في

(٣٣) هو العلامة أبو الحسن الشيخ بدر الدين الزركشي . تفقه على بعض أصحاب الدميري ولقبوه بالسبكي الثاني . مات سنة ٩٣١هـ .

المسألة وتقرير السبكي له وإيضاحه زاده بياناً وحسنا ، وسأتتبع من نصوص الشافعي والأصحاب في كتبهم في الفقه وشروحهم للحديث ما أراه مقوياً لذلك فأذكره .

فصـــل

قال الرافعي في الشرح وتبعه في الروضة في باب الردة : في كتب أصحاب أبي حنيفة اعتناء عام بتفصيل الأقوال والأفعال المقتضية للكفر وأكثرها مما يقتضي إطلاق الأصحاب الموافقة عليه ، فتذكر ما يحضرنا في كتبهم ، ثم سردها الرافعي وتبعه في الروضة وتعقبنا جملة منها ثم قال الرافعي وتبعه في الروضة بعد الفراغ من سردها ، وهذه الصورة تتبعوا فيها الألفاظ الواقعة من كلام الناس ، وأجابوا فيها اتفاقاً واختلافا فيما ذكر ، ومذهبنا يقتضي موافقتهم في بعضها ، وفي بعضها يشترط وقوع اللفظ في معرض الاستهزاء ، وقد بينا ذلك ، فهذا من الشيخين صريح فيما قررناه من الفتوى بما نص عليه في مذاهب بقية الأئمة فيما لا نص فيه عندنا ولا في قواعد مذهبنا ما ينفيه .

ثم قال النووي في الروضة من زوائده عقب ذلك : قلت : قد ذكر القاضي عياض في آخر (الشفاء) جملة من الألفاظ المكفرة غير ما سبق نقلها عن الأئمة أكثرها مجمع عليه ، ويخص ما في (الشفاء) من ذلك فهذا من النووي عين ما صحبا إليه بل هو نص صريح .

في مسألتنا هذه بعينها ، وقال في الروضة تبعاً للرافعي فيما نقله عن كتب أصحاب أبي حنيفة : واختلفوا فيمن قال رؤيتي إليك كرؤية ملك الموت ، وأكثرهم على أنه يكفر ، زاد النووي :

قلت : الصواب أنه لا يكفر ، وهذه إحدى الصور التي ساقها القاضي عياض في الفصل الخامس فإذا كان فيها قول بالتكفير فلا أقل من التعزير إذا لم يكفر .

فصل

قال سعيد بن منصور[٣٤] في سننه : حدثنا مغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون أن يتأولوا شيئاً من القرآن عندما يعرض من أحاديث الدنيا ، قيل لهشيم نحو قوله ﴿جئت على قدر يا موسى﴾[٣٥] قال نعم : وقد صرح العماد النهي من أصحابنا بهذا الحكم فقال يمنع ضرب الأمثال من القرآن . نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته ، والهشيم هذا من تلامذة البغوي[٣٦] .

---

(٣٤) هو الفقيه سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني صاحب السنن والزهد ، روى عن مالك والليث وفليح وأبي عوانة وابن عيينة وحماد بن زيد وخلق ، وعنه أحمد ومسلم وأبو داود وأبو ثور وأبو بكر الأثرم والكديمي وأبو زرعة وأبو حاتم وخلق . مات سنة ٢٢٧هـ .

(٣٥) ٤٠ ك طه ٢٠ .

(٣٦) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي أبو جعفر الأصم نزيل بغداد ، روى عن ابن علية والحسن بن سوار وداود بن الزبرقان وابن عيينة وابن المبارك وخلائق . ولد سنة ١٦٠ ومات سنة ٢٤٤هـ .

وهذا شاهد ما نحن فيه فكما أن الأدب أن لا تضرب كلمات القرآن مثلا لواقعة دنيوية فكذلك الأدب أن لا تضرب أحوال الأنبياء مثلا بحال خيرهم .

فصـــل

وسئل شيخ الإسلام والحفاظ قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجر بما نصه ما قول أئمة الدين في هذه الموالد التي يصنعها الناس محبة في النبي صلى الله عليه وسلم غير أن بعض الوعاظ يذكرون في مجالستهم الحلقة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء مجريات هي مخلة بكمال التعظيم ، حتى يظهر من السامعين لها حزن ورقة فيبقى في حيز من يرحم لا من يعظم ، من ذلك أنهم يقولون المراضع حقرن ولم يأخذنه لعدم ماله إلا حليمة رغبت في رضاعه شفقة عليه ، ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنماً و ينشدون :

بأغنام سار الحبيب إلى المرعى فيا حبذا راع فؤادي له يرعى

وفيه : فما أحسن الأغنام وهو يسوقها . وكثير من هذا المعنى المخل بالتعظيم فما قولك في ذلك ؟ فأجاب بما نصه : ينبغي له كونه فطنا أن يحذف من الخبر ما يوهم في المخبر عنه نقصاً فلا يضره ذلك بل يجب . هذا جوابه بحروفه .

فصل

ومما يدخل في هذا الباب ما أخرجه ابن أبي الدنيا[٣٧] في (كتاب الصمت) عن مطرف لتعظيم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند مثل هذا قول أحدكم للكلب اللهم خذه وللحمار وللشاة .

فصل

قال السهيلي في (الروض الأنف) بعد أن أورد حديث : إن أبي وأباك في النار ما نصه ، وليس لنا أن نقول نحو هذا في أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ، و الله تعالى يقول﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ..﴾[٣٨] الآية .

فصل

رعي الغنم لم يكن صفة نقص في الزمن الأول ، ولكن حدث العرف بخلافه ولا يستنكر ذلك ، فرب حرفة هي نقص في زمان دون

---

(٣٧) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي مولاهم أبو بكر بن أبي الدنيا كان مؤدب أولاد الخلفاء ، روى عن إبراهيم بن المنذر وأحمد بن إبراهيم الدورقي والحسن بن حماد وخلف بن هشام البزار ورجاء بن مرجى والزبير بن بكار وزهير بن حرب وأبي عبيد القاسم بن عبيد ، وعنه ابن ماجه وأبو بكر أحمد بن سلمان النجار وابن عقدة وأبو علي البرذعي و ابن أبي حاتم . ولد سنة ٢٠٨هـ . ومات سنة ٢٨١هـ.

(٣٨) ٥٧ م الأحزاب ٣٣ .

زمان وفي بلد دون بلد ، ويشهد لذلك كلام الفقهاء في الكفاءة في النكاح وفي المروءة في الشهادات والمسألة مسطورة حتى في (المنهاج) ثم إن الخصم لم يخرج هذه الكلمة إلا مخرج الشتم والتنقيص ، حيث قال وأنت يا راعي المعزى صار لك كلام ، ومثل هذا الموطن لا يحتج فيه بأحوال الأنبياء أبدا خصوصاً بين العوام ، هذا لا يقوله من يعلم أنه يلقى الله ، وقد تذكرت لطيفة ، قال الشيخ تاج الدين السبكي في (التوشيح) كنت يوماً في دخليز[٣٩] دارنا في جماعة فمر بنا كلب يقطر ماء يكاد يمس ثيابنا فنهرته وقلت يا كلب يا بن الكلب ، وإذا بالشيخ الإمام يعني والده الشيخ تقي الدين السبكي يسمعني من داخل ، فلما خرج قال لم تشتمه ، فقلت ما قلت إلا حقا أليس هو كلب ابن كلب ، فقال هو كذلك إلا أنك أخرجت الكلام من مخرج الشتم والإهانة ولا ينبغي ذلك ، فقلت : هذه فائدة ، لا ينادي مخلوق بصفة إلا إذا لم يخرج مخرج الإهانة . هذا لفظه في (التوشيح) .

فصل

المماراة في مثل هذا الموضع والتدليس وقصد الانتقام بالضغائن الباطنة لا يضر إلا بفاعله ولا يصيب المشنع عليه من ضرره شيء والحق للأنبياء ، وقد ذكر السبكي أن تارك الصلاة يخاصمه

(٣٩) المقصود بها إحدى حارات بغداد .

كل صالح لأن لكل صالح في الصلاة حقاً حيث فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وكذلك المدلس في هذه المسألة يخاصمه كل الأنبياء يوم القيامة وعدتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وقد قيل ليحيى بن معين أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله ، فقال لأن يكونوا خصماء لي أحب إليّ من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصمي ، يقول لي لمَ لمْ تذب الكذب عن حديثي .

وكذلك أقول لأن يكون كل أهل العصر في هذه المسألة خصمائي أحب إلى من أن يخاصمني نبي واحد فضلا عن جميع الأنبياء ، والله تعالى أعلم .

مصادر ومراجع تحقيق السلسلة

١ – الاستدراك — لابن نقطة

٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة — لابن الأثير – دار الشعب – القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٧٤م

٣ – الإصابة في أسماء الصحابة — تحقيق علي محمد البجاوي – نهضة مصر – القاهرة ١٩٧٥م

٤ – الأعلام — للزركلي – القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٩م

٥ – الأنس الجليل — لمجير الدين الحنبلي – النجف – العراق ١٩٦٨م

٦ – الأنساب — للسمعاني – نشره مصوراً مرجليوث – لندن / ١٩١٢م

٧ – البدء والتاريخ — للمقدسي – باريس ١٨٩٩م

٨ – البداية والنهاية — لابن كثير القرشي

٩ – تاج التراجم — لابن قطلو بغا – بغداد ١٩٦٢م

١٠ – تاريخ بغداد — للخطيب البغدادي – طبع الخانجي ١٣٤٩هـ

١١ – تبصير المنتبه
لابن حجر العسقلاني – تحقيق علي محمد البجاوي – الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م

١٢ – تبيين كذب المفتري
لابن عساكر – نشره القدسي – دمشق ١٩٢٧م

١٣ – تذكرة الحفاظ
للذهبي – تصحيح عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي– حيدر آباد – الهند ١٣٧٤م

١٤ – تفسير الطبري
دار المعارف – القاهرة ١٩٧٤م

١٥ – تهذيب الأسماء واللغات
للنووي – المطبعة المنيرية

١٦ – تهذيب التهذيب
لابن حجر العسقلاني – حيدر آباد الدكن ١٣٣٤هـ

١٧ – حلية الأولياء
لأبي نعيم الأصبهاني – مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٢هـ

١٨ الرسالة المستطرفة
للكتاني – دار الفكر – دمشق ١٩٦٤م

١٩ – سنن « أبو داود »
دار إحياء الكتب العربية

٢٠ – سنن ابن ماجه
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – الحلبي القاهرة ١٩٥٢م

٢١ – سير أعلام النبلاء — للذهبي – بيروت ١٩٧٠م

٢٢ – شذرات الذهب — لابن العماد الحنبلي – نشره القدسي – القاهرة ١٣٥٠هـ

٢٣ – صحيح البخاري — القاهرة ١٣٧٨هـ

٢٤ – صحيح ابن حبان — بيروت ١٩٨٣م

٢٥ – صحيح مسلم — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – القاهرج ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م

٢٦ – طبقات الحنابلة — لابن أبي يعلي – القاهرة١٩٥٢م

٢٧ – طبقات ابن سعد — تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت ١٩٦٨م

٢٨ – طبقات الشافعية — للسبكي – تحقيق محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو – الحلبي ١٣٨٣هـ

٢٩ – طبقات الشيرازي — تحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٧٨م

٣٠ – طبقات العبادي — تحقيق غوستاف فيستنام – ليدن ١٩٦٤م

٣١ – طبقات القراء — لابن الجزري – برجستراسر ١٩٣٣ – ١٩٣٥م

٣٢ – طبقات القراء — للذهبي – تحقيق محمد سيد جاد الحق – دار الكتب الحديثة – القاهرة ١٩٦٧م

٣٣ - طبقات المفسرين — للداودي - تحقيق علي محمد عمر - وهبه القاهرة ١٩٧٤م

٣٤ - طبقات المفسرين — للسيوطي - وهبه - القاهرة ١٩٧٥م

٣٥ - طبقات ابن هداية الله — تحقيق عادل نويهض - بيروت ١٩٧١م

٣٦ - العبر — للذهبي - تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد - الكويت ١٩٦٠م

٣٧ - الفرق بين الفرق — للبغدادي - القاهرة ١٩٧٥م

٣٨ - الفهرست — لابن النديم - بيروت ١٩٧٨م

٣٩ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية — للكنوي - بيروت ١٣٢٤هـ

٤٠ - فوات الوفيات — لابن شاكر الكتبي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- القاهرة ١٩٥١م

٤١ - الكامل في التاريخ — لابن الأثير - بيروت ١٩٦٥م

٤٢ - اللباب في تهذيب الأنساب — لابن الأثير - نشره القدسي - القاهرة ١٣٥٧هـ

٤٣ - لسان الميزان — لابن حجر العسقلاني

٤٤ – مرآة الجنان لليافعي – حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٨هـ

٤٥ – مروج الذهب للمسعودي – القاهرة ١٩٦٤م

٤٦ – المعارف لابن قتيبة – تحقيق ثروت عكاشة – دار المعارف ١٩٧٨م

٤٧ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – تحقيق طه عبد الرءوف سعد

٤٨ – القراءات العشر للشيخ محمود خليل الحصري


مطابع
ت ٩٣٢٧٠٦



الإمام جلال الدين السيوطى صاحب أكبر عدد من المصنفات والمؤلفات ، وبلغت ما بين ثمانمائة وتسعمائة مصنف وكتاب ، فحرصت على عمل سلسلة هامة تختص بنبينا ﷺ ، فنقدم للمكتبة العربية رسالتين تتناولان هذا الموضوع ، وهما : « السبل الجلية فى الآباء العلية » و « الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة » حيث وضّح لنا فضل الأبوين فضرب لنا مثلاً برسول الله ﷺ وهل سيدخل أبواه الجنة أم لا ، مستنداً على ما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

6

طبع
نشر
توزيع



القاهرة : ١ ش محمد محمود - باب اللوق (برج الأطباء) ت : ٣٥٥٨٤٦١
الجيزة : ١ ش سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش - الهرم